ثقافات الشعوب



مينغ المشهور
حكايات شعبية من كوريا

تأليف: إي أم بانغ، ويي ريوك
ترجمة: تهاني عبد العزيز عويضة

مينج المشهور

حكايات شعبية من كوريا

تأليف:
آي أم بانغ، ويي ريوك

ترجمة:
تهاني عبد العزيز عويضة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

مينج المشهور

حكايات شعبيـة من كوريا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

مينج المشهور: حكايات شعبية من كوريا

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR342.I612 2010
IM, Bang, 1640 - 1724.
[Korean Folk Tales]

مينج المشهور: حكايات شعبية من كوريا/ تأليف آي أم بانغ، يي ريوك؛
ترجمة تهاني عبد العزيز عويضة. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
135ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-361-7
ترجمة كتاب: Korean Folk Tales
1 - القصص الشعبية الكورية. 2 - الحكايات الكورية. أ- Yi, Yuk, 1430 - 1498.
ب- عبد العزيز، تهاني. جـ- Gale, James Scarth, 1863-1937. د- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة
KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تمهيد

لكل إنسان يود أن يتعرف عن كثب على روح الإنسان الشرقي، ويأخذ فكرة عن الأجواء الروحانية الخاصة التي يعيشها، نقدم هذه المجموعة القصصية، التي هي بمثابة ترجمة حقيقية لتلك الأجواء التي نمت في رحم المعتقدات الثلاث الكبرى في الشرق الأقصى: الطاوية والبوذية والكونفوشيوسية.

إنها نسخة عن مخطوط قديم لمجموعة قصصية للكاتب الكوري، إيم بانغ، وصلت إلى إيدي المترجم منذ نحو عام، وهو الآن يقدمها إلى العالم الغربي لتكون بمثابة مقدمة تمهيدية لأسرار، أو كما يسميها الكثيرون، لخرافات آسيا. وهي قصص مخيفة بالفعل، وبعضها بغيض، لكنها تقدم وصفاً دقيقاً صادقاً للأوضاع الاجتماعية التي عاصرها إيم بانغ نفسه، والعديد من الأجيال السابقة في كوريا.

تضم المجموعة ثلاث عشرة قصة قصيرة للكاتب بي ريوك، أخذت عن طبعة ثانية لمذكرات كورية قديمة صدرت عام 1911م، عن دار نشر يابانية. وأضيف لها ثلاث قصص مجهولة المصدر، هي «ضارب الرمل»، وهي قصة تصور مقدار قلق الأم الأرض على أطفالها، «إم الصياد» التي تخبرنا عن حقائق توجد في الهواء العلوي، و«الرجل الذي فقد ساقيه» والتي نرى فيها نموذجاً لسندباد كوري.

النبذة القصيرة عن سيرة الكاتبين التي رافقت القصص، اعتمدت بشكل كبير على المعلومات الواردة في «كوك تشو إن مول تشي»، أي: «سجل كوريا للرجال المشهورين».

جيمس سكارث غيل

تقديم

جعلتنا سطوة الأدب الغربي لا نهتم ولا نعرف إلا القليل عن أدب المجتمعات الإنسانية الأخرى، كالصين واليابان والهند وأندونيسيا وأفريقيا، وهذا ينطبق بطبيعة الحال على الأدب الكوري.

بين أيدينا مجموعة قصصية لكاتبين كوريين مرموقين: إيم بانغ، وقد اشتهر في أواخر القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، ويي ريوك، وقد ظهر في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. قام بتجميعها وترجمتها من الكورية إلى الإنجليزية الكاتب والمترجم الأمريكي جيمس سكارث غيل.

يعرفنا هذا العمل، الذي يعد من روائع الأدب القصصي الكوري، بأشهر الحكايات الشعبية القديمة التي مازال الكوريون يتناقلونها حتى وقتنا هذا. وهي تبين المدى العميق الذي بلغته الأساطير وأخبار الجن في نفوس الكوريين.

لكن بعض هذه الحكايات يحمل الكثير من المعاني والقيم النبيلة، كما في حكايتي «تجارب هونغ في دار الأيتام» و«انتقام الرب» إذ تقدّم الأولى العظة والعبرة والدعوة لعمل الخير ونبذ الشر، في حين تعرّف الثانية بعظمة مكانة الأم. كما تضمنت المجموعة (التي تأتي ضمن سلسلة «ثقافات الشعوب» هذه مقسمة إلى مجموعتين) بعضاً من أروع قصص الحب، كما في حكايات «تشاران» و«مو المخلصة» و«تا هونغ». ويشير بعض الحكايات إلى فطنة المرأة الشرقية التي تعتز بشرفها وكرامتها رغم مكانتها الهامشية في المجتمع، كما في «الزوجة الداهية» و«الفتاة الشجاعة». وأخرى تبين مدى اهتمام الملوك بالحكمة وتشجيعهم للثقافة والأدب والشعر كما في حكاية «يو المحظوظ» و«الشاب الذي كرمه الملك». وفي أكثر من حكاية نتعرف على نظام الامتحان الإمبراطوري، تلك التجربة العظيمة التي دعا إليها كونفوشيوس بهدف إتاحة الفرصة للمثقفين لتولي المناصب الحكومية المرموقة بصرف النظر عن طبقاتهم الاجتماعية.

ما يثير الإعجاب حقاً أن الاعتقادات المتعلقة بالجن والعفاريت والتي نجد لها صدى واسعاً في هذه المجموعة، لم تقف عائقاً أمام إحراز الكوريين تقدماً اقتصادياً وصناعياً وتكنولوجياً، جعلهم في مصاف الدول المتقدمة، فهذه المعتقدات دخلت في نسيج حكائي خيالي، ينتمي إلى التراث أولاً وأخيراً، مما يؤكد اعتزاز الكوريين بتراثهم وبقيمهم.

تهاني عبد العزيز عويضة

منزل الجن

في أيام الملك إن جو[1]، عاش تلميذ كونفوشيوسي في مدينة كا بيونغ. كان لا يزال عازباً ولم يتلق تعليماً واسعاً، فكانت معرفته بالتاريخ والأدب محدودة. ولسبب أو لآخر ترك بلدته وذهب إلى إقليم كانغ ون. خرج على صهوة حصانه برفقة خادمه، وعندما وصل إلى الجبال باغتته الأمطار وبللته. وقد توفي خادمه فجأة، وبطريقة غامضة، فأصابه الرعب والأسى، وقام بجرّ جثته إلى سفح أحد التلال، وتركه وواصل دربه تحت المطر. وبعد أن قطع مسافة قصيرة، خرّ حصانه على الأرض تحت قدميه ونفق أيضاً. وهكذا أحاطت به المآسي من كل صوب، فخادمه توفيّ، وحصانه نفق، والمطر يهطل عليه بلا توقف، والطريق أمامه شائك ومعقد. فشعر بالعجز، لا يدري ماذا يفعل أو إلى أين يذهب، ولم يتبق أمامه خيار سوى المشي، فشعر بالوهن وانفجر في البكاء.

(1) فترة حكمه لكوريا (1623- 1649م) (م).

وفي تلك اللحظة، التقى شيخاً طاعناً في السن له عينان جميلتان وشعر ناصع البياض كالثلج، سأله الرجل: فيم بكاؤك؟ فأجابه بأن خادمه مات وحصانه نفق، والمطر لا يتوقف عن الهطول والطريق شائك. فأشفق الرجل عليه ورفع عصاه وأشار بها قائلاً: «هناك منزل خلف أشجار الصنوبر تلك، اتبع ذلك النهر وسوف يوصلك إلى مكان عامر بالناس».

نظر الشاب إلى الاتجاه الذي أشار إليه الشيخ، فشاهد على بعد لي[1] واحد أو ما يقرب من ذلك مجموعة من الأشجار. فانحنى محيياً الشيخ الغريب، وانطلق يسير في ذلك الاتجاه. وبعد أن قطع بضع خطوات، نظر خلفه ليلقي نظرة على الصديق الذي هبط عليه فجأة، غير أنه لم يجد له أثراً، فشعر بالذهول لكنه مضى في طريقه باتجاه الموضع الذي دله عليه، وعندما اقترب منه شاهد بستاناً من الصنوبر، كانت أشجاره ضخمة مثل أشجار الغابات. كما شاهد أيضاً أعداداً لا تحصى من أشجار الخيزران[2]، وبالقرب منها يتدفق نهر كبير. وبدا له أنه أسفل المياه توجد أرضية من الرخام تشبه الرصيف، لونها أبيض خالص. ولدى تقدمه أكثر، اكتشف أن المياه ليست عميقة، فيمكن للمرء أن يعبرها بسهولة.

(1) وحدة قياس صينية تساوي 500 متر تقريباً (م).
(2) الخيزران (البامبو) أحد أنواع نبات الدراسينا، وهو نبات لا يحتاج إلى ضوء الشمس المباشر، أو سماد، ويعيش في الماء فقط (م).

وبعد قرابة ميل أو أكثر من المشي، ظهر له منزل مزخرف زخرفة جميلة له أعمدة ومداخل رائعة الشكل. كان لا يزال مبللاً من أثر المطر. عبر البوابة متكئاً على عكازته المصنوعة من خشب الزعرور[1]، ثم جلس في الداخل ليلتقط أنفاسه. كانت الأرض أمامه مرصوفة بالمرمر، وملساء كما الزجاج المصقول. لم يكن بها أي شقوق أو منحنيات على الإطلاق، كانت مستوية تماماً. كانت توجد في القاعة طاولة من رخام، عليها نسخة من كتاب التحولات[2]، وأمامه مجمرة من نحاس، تنبعث منها رائحة البخور. وعدا ذلك، لم يرَ شيئاً آخر. كان المطر قد توقف في الخارج، وصارت الأجواء هادئة صافية، لا تشوبها رياح أو منغصات. وبدأ يشعر أنه في عالم غير عالمه.

وبينما جلس يتأمل ما حوله في ذهول ودهشة، سمع فجأة وقع أقدام آتية من خلف المنزل، فأجفل، واستدار ليستطلع من الآتـي، فـإذا به رجل طاعن في السن، ربما يعادل عمره عمر السلحفاة أو طائر الكركي، ويوحي منظره بالجلال والوقار، وقد ارتدى ثوباً أخضر، وحمل عكازة مكسوة باليشب[3] يتألف من تسعة مقاطع. كان مظهر الشيخ مذهلاً لأي إنسان من أهل الدنيا.

---

(1) شجر شائك من الفصيلة الوردية (م).
(2) كتاب في الحكمة الصينية، يعد أحد أبرز خمسة كتب في الصين القديمة (م).
(3) حجر كريم لونه أخضر(م).

فأدرك صاحبنا أنه سيد المكان، لذلك تقدم نحوه وانحنى باحترام.

استقبله الرجل بود وهو يقول: «أنا سيد المكان، وأنتظرك منذ وقت طويل». ثم أخذه من يده وسار به بعيداً. وكلما تقدما أكثر في السير، ازداد منظر التلال سحراً، وشعر بنسائم الهواء الناعمة الخفيفة تداعبه بحنان يثير الارتباك. وفجأة، بينما هو منشغل في التأمل، اختفى الرجل، فواصل السير وحيداً وسرعان ما قادته قدماه إلى مكان آخر مبني أيضاً من الأحجار النفيسة. كان قصراً ضخماً تمتد رقعته على مرمى البصر.

كان قد سبق للشاب أن شاهد القصر الملكي مرات عدة عندما كان يذهب لحضور الامتحانات في سيول، ولكن مقارنة بهذا القصر، يبدو القصر الملكي كوخاً من الطين مسقوفاً بالقش.

لدى وصوله إلى البوابة، استقبله رجل بزي رسمي، اصطحبه إلى الداخل. وفي طريقه، مرَ بمقصورتين أو ثلاث. وأخيراً، وصل إلى مقصورة خاصة، دخل إليها وصعد إلى الطابق العلوي. وهناك، وجد الشيخ الحكيم الذي رآه في السابق واقفاً يستند إلى حافة طاولة، فانحنى له مجدداً.

لم يكن هذا الشاب، القادم من قرية ريفية فقيرة، معتاداً على رؤية علية القوم أو التعامل معهم. ومن شدة خوفه، لم يجرؤ حتى على رفع عينيه في وجهه. لكن السيد الشيخ، رحب به مجدداً، ودعاه إلى الجلوس، وهو يقول: «هذا ليس العالم المغبر الذي اعتدت عليه، وإنما مقر الجن. كنت أعلم أنك قادم، لذلك انتظرتك لأكون في استقبالك». ثم التفت وصاح، قائلاً: «أحضروا الطعام للضيف».

وخلال بضع لحظات، مُدّت مائدة عامرة بشتى صنوف الطعام التي لم يسبق له أن رأى مثلها. كان الطعام وفيراً، ومن شدة جوعه، أقبل عليه بشراهة غير عابئ بغرابته. وبعد أن اكتفى، حُملت الأطباق بعيداً، وقال الشيخ: «لي ابنة بلغت سن الزواج، وكنت أبحث لها عن زوج مناسب، لكن الحظ لم يحالفني بعد، وقد جئت في الوقت المناسب، فما رأيك أن تعيش هنا، وتصبح زوج ابنتي».

وجد الشاب نفسه عاجزاً عن التفكير، فأومأ برأسه بصمت. وعندئذ، التفت صاحب المكان وأمر الخدم: «استدعوا الأطفال».

فجاء صبيّان يركضان وجلسا إلى جـواره، وبدا عليهما أنهما في عمر الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. كلاهما كان وجهه أبيض جميلاً كالجواهر. أشار السيد إليهما وقال لضيفه: «هذان ولداي» وللصبيان قال: «هذا الرجل الشاب هو من اخترته صهراً لي، متى برأيكما يمكننا أن نقيم الزفاف؟ اختارا أحد أيام الحظ وأخبراني به».

أخذ الصبيان يحسبان الأيام على أصابعهما ثم قالا بصوت واحد: «اليوم الذي بعد غد هو يوم حظ».

التفت الشيخ نحو الشاب الغريب وقال له: «لقد حددنا موعد الزفاف، والآن ينبغي لك أن تنتظر في غرفة الضيوف حتى يحين الموعد». ومن ثم أمر الخدم باستدعاء خادم معين. وبعد قليل، ظهر الخادم، وكان واحداً من أفراد الجن، يرتدي ثوباً خفيفاً رقيقاً. كان وسيم المظهر بهي الطلعة.

قال له السيد: «خذ هذا الرجل الشاب وأره الطريق إلى جناحه، وعامله بشكل لائق حتى يحين موعد الزفاف».

أفسح الخادم الطريق للشاب، فانحنى هذا للسيد وغادر الغرفة. وعندما عبر البوابة إلى الخارج، وجد بانتظاره محفة

عليها كرسي أحمر، دعاه الخادم إلى الصعود إلى المحفة، وعندئذ حمله ثمانية رجال وساروا به في خفة ورشاقة. وبعد مسافة ميل أو أبعد قليلاً، وصلوا إلى قصر آخر، يعادل الأول في الروعة والفخامة، كان كل شيء حوله آية في الجمال والإبداع، وليس فيه عيب أو شائبة.

مرّ في طريقه إلى مقصورته ببساتين عامرة بالزهور والأشجار. ولدى وصوله إلى هناك، أُخرجت له من الصناديق المرصعة بالجواهر ثياباً رائعة، ارتداها بعد أن أخذ حماماً معطراً. وهكذا، ألقى جانباً بملابسه المبتلة القديمة، وارتدى ثياب الجن. وسهر الجني على خدمته حتى حان موعد زواجه الموعود.

في ذلك اليوم، أُحضرت له ثياب أخرى جميلة، واغتسل للمرة الثانية وبدّل ثيابه. وعندما أصبح جاهزاً، اعتلى المحفة وتوجه إلى قصر السيد يرافقه أكثر من عشرين خادماً. ولدى وصوله إلى هناك، شاهد الاستعدادات للزفاف، فأقبل على السيد وانحنى احتراما له، وبعد أن أتم المراسيم المطلوبة في قاعة الرجال، توجه إلى الأمام حسب الإرشادات، وكان رنين أجراس اليشم، ورائحة العطور الجميلة يملآن الفضاء، إلى أن وصل إلى القاعة الداخلية.

وهناك، وجد بانتظاره جمع من النساء الحسناوات الرائعات. وتخيل أن ابنة السيد واحدة منهن. ولكنها جاءت بعد برهة من الوقت بصحبة أخريات، وكانت تتزين بالمجوهرات البراقة، وترتدي ثوباً جميلاً، فأنارت القصر ببهائها وضيائها. وقف أمامها، فيما كانت تحاول هي إخفاء وجهها بمروحة مشغولة باللؤلؤ، وعندما رآها أخيراً عن كثب، بهره جمالها. فالمقارنة بينها وبين النساء الأخريات، مثل المقارنة بين طائر الفينيق[1] وغراب العقعق[2] . ومن فرط الارتباك والذهول، لم يجرؤ على النظر مباشرة في عينيها. وبعد أن ساعده الخدم المرافقون له على أداء كافة الطقوس المطلوبة كما حدث في قاعة الرجال، ذهب مع عروسه إلى جناحها، حيث الستائر المطرزة والمرايا الموشاة بالذهب وثياب الحرير والأرض المرصعة بالجواهر، كان مكاناً رائعاً لم يسبق لأي رجل في هذه الدنيا أن شاهد مثله.

وفي اليوم التالي، أرسلت أم العروس في طلبه. كان عمرها يقارب الثلاثين، ووجهها نضراً كما زهرة اللوتس[3]، وقد أقامت وليمة كبيرة على شرفه دعت إليها عدداً كبيراً من الضيوف، وتناول الجميع الطعام على أنغام موسيقى عذبة لم يسبق له سماع

(1) طائر خرافي يعتبر في الأساطير الصينية القديمة ملك الطيور ورمزاً للرفاه والجمال (م).
(2) العقعق غراب أبقع طويل الذيل (م).
(3) زهرة جميلة ذكية الرائحة (م).

مثلها، وعندما فرغوا من الطعام، أمسكت النساء بتنانيرهن ورفعن أكمامهن ورقصن وغنين مع بعضهن بعض بانسجام جميل. وبدا له أن الكون كله ينصت إلى غنائهن، وأن السحب في السماء توقفت عن الدوران لتستمع لهن. وفي نهاية اليوم، تناول الجميع العشاء، وفُضّ الحفل وغادر الجميع كل إلى مخدعه.

تغيرت حياة الشاب الريفي على نحو مفاجئ بعد لقائه ملك الجن، فأصبح يشاركه مجده وحياته بكل ما فيها من نعم. فداخ عقله، وتشتت فكره، واختلطت لديه الشكوك بالمخاوف.

لقد أصبح يستمتع بالفعل بحياته برفقة الجن، وعاش أكثر من عام في سعادة تعجز الكلمات عن وصفها. وذات يوم قالت له زوجته: «أتود الدخول إلى عالم الجن الخفي ومشاهدته كما لو كنت واحداً منهم». فأجابها: «أود ذلك بكل سرور».

عندئذ قادته إلى متنزّه خاص، سارا فيه عبر ممرات رائعة، محاطة بالروابي الخضر. وكلما تقدما أكثر، شاهد المزيد من المناظر الخلابة، تتخللها ينابيع المياه والشلالات الفوارة. وظلّ المشهد يزداد روعة، فرأى أزهاراً مرصعة بالجواهر، وطيوراً وحيوانات جميلة تلهو مع بعضها. فشعر أن الإنسي الذي يأتي إلى مثل هذا المكان لن يفكر مرة أخرى بالعودة إلى الأرض.

وبعد أن شاهد كل هذا الجمال، صعد إلى أعلى قمة في المكان، تشبه برجاً يتألف من عدة طوابق. وكان يمتد أمامه بحر واسع، وتبرز جزر مباركة من قلب المياه، وتمتد مساحات شاسعة من الأراضي في منظر طبيعي أخاذ. اصطحبته زوجته في جولة في جميع أرجائها، وعرفته على كل تفاصيلها. وبدا له أنهما محاطان بقصور مطلية بالذهب ومحاطة بهالة من نور. مأهولة بأرواح سعيدة، يحلق بعضها في السماء على ظهر الكركي، وبعضها الآخر على ظهر طائر الفينيق. ومنهم من كان يمتطي أحادى القرن[1]. كما رأى مجموعة تجلس فوق السحب، وأخرى تبحر في مهب الرياح. وهناك من كانوا يمشون في الهواء، أو يتزلقون فوق جداول الماء، أو ينحدرون من الأعالي، أو يتسلقون الجبال. ومنهم من يتمشى جهة الغرب، ومن يتمشى جهة الشمال، وبعضهم يجلس أو يتمشى في مجموعات. وكل هذا على وقع عزف القيثارات والمزامير. كانت الأشياء التي رآها هناك كثيرة جداً ومذهلة جداً، لدرجة أنه وجد نفسه عاجزاً عن الإحاطة بها. وبعد انقضاء اليوم على ذلك النحو الرائع، عاد الزوجان إلى مخدعهما.

---

(1) أحادي القرن حيوان خرافي له جسم فرس وذيل أسد وقرن وحيد في وسط الجبهة (م).

وهكذا كانت سعادتهما لا تنتهي، وبعد انقضاء عامين، أنجبت له زوجته صبيين. ومر الوقت، وذات يوم، وعلى نحو غير متوقع، بينما هو جالس مع زوجته، انتابه البكاء، ولطخت الدموع وجنتيه. فسألته زوجته بدهشة عن سبب بكائه. فرد قائلاً: «كنت أفكر كيف أصبح الرجل القروي الفقير صهراً لملك الجن. ولكنني تركت في بلدتي أمي العجوز الفقيرة التي لم أرها منذ سنوات، وانتابني الحنين لرؤياها والاطمئنان عليها، لهذا تدفقت الدموع من عينيّ».

ضحكت زوجته قائلة: «أتودّ حقاً رؤيتها؟ فلتذهب إذن، ولا حاجة إلى البكاء». وأخبرت الابنة أباها بأن زوجها راغب في زيارة أمه. فأرسل السيد في طلبه ومنحه الإذن. اعتقد الصهر في سره، أن السيد سيرسل معه بالطبع العديد من الخدم، ويزوده بكافة وسائل الراحة، لكنه لم يفعل. وكل ما خرج به كانت صرة صغيرة، أعطتها له زوجته، وعندما ذهب ليلقي على حماه تحية الوداع، قال له هذا: «اذهب الآن وزر والدتك، وبعد وقت قصير سوف أستدعيك للحضور إلى هنا مجدداً».

أرسل معه خادماً واحداً، وعندما عبر البوابة الرئيسية، شاهد حصاناً نحيلاً هزيلاً يعلوه سرج مهترئ. وعندما أنعم النظر فيه

اكتشف أنه حصانه الذي نفق على الطريق، وكذلك الخادم، فأصابه الذهول وسأله: «كيف أتيت إلى هنا؟».

أجاب الخادم: «في أثناء سفري معك أمسك بي شخص لا أعرفه وأحضرني إلى هنا. لا أعرف السبب، ولكنني هنا منذ وقت طويل».

شعر الرجل بخوف شديد، فتشبث بصرته وبدأ رحلته. كان الخادم الجني يسير خلفه، وبعد أن قطعا مسافة قصيرة، تحول العالم الساحر الذي كان فيه إلى العالم القديم مجدداً، حيث الضباب والشوك والصخور. نظر خلفه بحثاً عن عالم الجن، فبدا كأنه كان مجرد سراب. فاجتاحته مشاعر متناقضة وانفجر في البكاء.

قال له الخادم عندما رآه يذرف الدموع: «عشت لسنوات عديدة مع الخالدين، لكنك لم تبلغ مكانتهم لأنك لم تنس ست خصال موجودة على الأرض: الغضب والحزن والخوف والطموح والكراهية والأنانية. إذا تخلصت من هذه الخصال فلن تعرف البكاء بعد ذلك». لدى سماعه ذلك، توقف عن البكاء، وجفف وجنتيه، واعتذر للخادم.

وبعد قرابة ميل من المشي، وجد نفسه على الطريق الرئيسي.

وهناك قال له الخادم: «أنت تعرف الطريق من هنا، لذا ينبغي لي أن أعود»، فواصل طريقه وحيداً حتى وصل في النهاية إلى منزل والدته.

وعندما دخل منزله، وجد العائلة مجتمعة تقيم جلسة لطرد الأرواح الشريرة، وكانت الساحرات حاضرات يؤدين طقوس الصلوات، وعندما شاهدته عائلته يدخل عليهم في ظل الأجواء التي هم فيها انتابهم الذعر. فقالوا: «هذا شبحه». ولكنهم أدركوا بعد قليل أنه هو نفسه.

سألته أمه عن سبب غيابه عن المنزل طوال تلك المدة، ونظراً لأنها امرأة متسلطة، فلم يجرؤ على البوح لها بالحقيقة، وقدّم لها عذراً آخر. كان يوم عودته هو الذكرى السنوية لموته المفترض، لذلك استدعت العائلة الساحرات ليقمن الصلاة على روحه.

وبعد أن استقرّ به المقام في منزله، فتح الصرة التي أعطتها له زوجته، فوجدها تحتوي على أربعة أطقم من الثياب تناسب الفصول الأربعة.

وبعد نحو عام من عودته، لم يعجب أمه بقاءه وحيداً، فخطبت له ابنة أحد المتعلمين في القرية. وبما أنه جبان بطبعه،

فقد خشي غضب أمه ولم يجرؤ على الرفض، فتزوج منها، لكنه لم يشعر بقربها بأي سعادة، ولم يكن ينظر البتة إلى وجهها، ولا كانت هي تفعل.

كان له صديق منذ الطفولة، اعتاد بعد عودته من القرية على رؤيته وتمضية الليالي معه يتسامران. وفي إحدى هذه الليالي، سأله صديقه عن سبب غيابه كل تلك السنين، فأخبره بحقيقة ما حدث معه وأنه كان في أرض الجن، وكيف تزوج بواحدة منهم. نظر إليه صاحبه بدهشة، فوجده صديقه الذي يعرفه منذ زمن فيما عدا الثياب التي يرتديها. وعندما تفحصها وجد فيها شيئاً عجيباً، فهي ليست مصنوعة من القش أو القطن أو الحرير، وإنما مختلفة عن جميع الثياب، كما كانت دافئة ومريحة. فعندما كان يأتي الربيع، كان ثوب الربيع يؤدي الغرض، والشيء نفسه في الصيف والشتاء والخريف، كانت لكل فصل ثياب خاصة. كما استرعى انتباهه أنها لا تُغسل قطّ، وكذلك لا تُبلى، ودوماً تبدو جديدة زاهية. فشعر الصديق بدهشة شديدة.

وبعد مضي نحو ثلاث سنوات على عودته إلى القرية، جاءه ذات يوم رسول من قبل سيد الجن، مصطحباً معه طفليه، وفي جعبته رسالة يقول فيها: «في السنة القادمة، في المكان الذي

تعيشون فيه، سوف يحل دمار كبير، وسوف يتحول جميع السكان إلى فريسة للأعداء، لذلك اتبعوا هذا الرسول وتعالوا معه جميعاً».

أخبر صديقه بفحوى الرسالة وأراه ولديه. وعندما شاهد صديقه الولدين اللذين بدوا مثل الحرير واليشب، اعترف بكل شيء للأم. فوافقت على المضي مع ابنها بكل سرور، وهكذا باعوا كل شيء وأقاموا وليمة كبرى لأهالي القرية، ثم ودعوهم وانصرفوا. كان هذا في العام 1635م. وبعد أن غادروا لم يسمع عنهم أحد بعد ذلك.

وفي السنة التالية لرحيلهم اجتاح المانشوريون القرية ودمروها بالكامل. وإلى هذا اليوم، لا يزال سكان قرية كا بيونغ صغاراً وكباراً يتداولون هذه القصة.

يو المحظوظ

في مدينة يونغ نام، في أيام الملك صي جونغ[1]، عاش رجل يدعى يو. درس الأدب الكلاسيكي، واجتاز امتحاناته، وعين في وظيفة ثانوية في كلية كونفوشيوس[2]. كانت درجته الوظيفية متواضعة، فلم يرق حتى إلى الدرجة السادسة، لذلك كان الأمل في حصوله على ترقية غير وارد على الإطلاق.

كان رجلاً قروياً بسيطاً ليس له نفوذ ولا أصدقاء. وعلى الرغم من مضي وقت طويل على وجوده في مدينة سيول، لم يلح له في الأفق أمل لنيل أي ترقية. كانت جميع الطرق مسدودة أمامه، ففترت همته وشعر بالوحشة، وقرر مغادرة المدينة والعودة إلى قريته.

(1) عرف عنه حبه للعلم والمعرفة ولا تزال إنجازاته وأفضاله مشهورة، لذلك يعرف باسم أعظم ملوك كوريا في العصر الذهبي (المؤلف).
(2) يعود تاريخ تأسيس كلية كونفوشيوس إلى العام 682 (م).

وقبيل الرحيل، تذكر ابن بلدته الذي يعمل أمين سرّ في قصر الحاكم، فذهب ليلقي عليه تحية الوداع. ولما كان يتوق لرؤية قصر الحاكم، اغتنم الفرصة، وقال لابن بلدته: «مضى على وجودي في سيول وقتاً طويلاً، لكنني لم أشاهد قط مكتبك الملكي فهل تسمح لي بمرافقتك ذات يوم لدى ذهابك إلى هناك؟»

أجابه أمين السرّ: «خلال النهار، يكون دائماً هناك حشد من الناس من ذوي المشاريع والمصالح. ولا يسمح لأحد بالدخول من دون أن يكون بحوزته إذن خاص. لكنني ذاهب إلى هناك في الغد، وأنوي قضاء ليلتي هناك، فهذه فرصة جيدة لأن نلقي نظرة على القصر في المساء. في العادة، لا يسمح للموظفين بالنوم في القصر، ولكن عندما نفعلها لمرة واحدة لن يلاحظ أحد».

وهكذا أمر أمين السرّ الجندي الذي يرافقه بأن يسمح لهذا الرجل بالدخول إليه في مكتبه في القصر في الغد.

وكما رتب أمين السرّ، توجه الرجل القروي في مساء اليوم التالي إلى القصر، ليفاجأ بأنه لسبب أو لآخر، لم يات أمين السرّ حسب الاتفاق. ولم يستطع العودة من حيث أتى لأن بوابات القصر أغلقت ولم يعد مسموحاً لأحد بالدخول أو الخروج.

وغدا في مأزق حقيقي. ولكن لحسن حظه، صادف وجود خادم في مكتب أمانة السرّ، تعاطف معه، ورتب له ركناً مخفياً ليمضي فيه ليلته، إلى أن يطلع الصبح ويتمكن من الرحيل بهدوء.

في تلك الليلة، كانت السماء صافية وجميلة. وظاهرياً، كان جميع الناس نيام في ما عدا يوو. كان لا يشعر بالنعاس، ففكر في سرّه بأن يتسلل من مكانه بهدوء ليلقي نظرة على القصر.

كان موسم هطول الأمطار، ويبدو أنه بسبب المطر تهدم جزء من الجدار الأمامي للقصر، فتسلق يوو الجدار المهدوم، وهو لا يعلم إلى أين سيقوده. وفجأة وجد نفسه في فناء القصر الملكي. كانت حديقة في غاية الجمال، فيها أشجار وبحيرات وممرات للمشي والتنزه. فتساءل يوو في نفسه: «لمن هذا القصر وهذه الحديقة الجميلة؟» وعندئذ ظهر أمامه رجل، يرتدي على رأسه قلنسوة عصرية أنيقة، ويحمل في يده عكازة، ويرافقه خادم، وكان يسير ببطء باتجاه المكان الذي يقف فيه. لم يكن هذا الرجل سوى الملك صي جونغ، وكان يأخذ جولة تحت ضوء القمر برفقة خادمه.

ولكن عندما التقيا، لم يكن لدى يوو أدنى فكرة بأنه الملك. سأله جلالته: «من أنت، وكيف وصلت إلى هنا؟».

أخبره يوو من يكون، وبالاتفاق التي تم بينه وبين قريبه السكرتير، وكيف أن الأخير خذله، وأن البوابات أغلقت فانحبس في الداخل وأصبح لا مفر من قضاء الليلة هنا، لكنه شاهد ضوء القمر ساطعاً، فشعر برغبة في الخروج ليتمشى، وعندما وجد الحائط المهدوم تسلقه فوجد نفسه هنا. وأنهى حديثه متسائلاً: «بالمناسبة، لمن هذا المنزل؟».

أجابه الملك: «أنا صاحب هذا المنزل». وعندئذ دعاه جلالته للدخول، وسمح له بالجلوس إلى جواره على الحصيرة. وهكذا أمضيا الليلة في الحديث والدردشة. وعلم الملك منه أنه اجتاز امتحاناً خاصاً في الأدب الكلاسيكي، وتساءل كيف لم يحصل على وظيفة أفضل من التي يشغلها. فأجابه يوو بأنه رجل قروي غير معروف، وعائلته بسيطة وليس لها أي نفوذ، وأنه تمنى ذلك، ولكن للأسف النوعية المحترمة من الوظائف يحتكرها أبناء العائلات الكبيرة في العاصمة. وقال متسائلاً: «من الذي سيلتفت لي؟ لقد تحطمت آمالي، وقررت لتوي أن أغادر المدينة وأعود إلى قريتي لأعيش هناك المتبقي من عمري».

سأله الملك مجدداً: «هل أنت واسع الاطلاع على الأدب الكلاسيكي، وهل تعرف شيئاً عن كتاب التحولات؟».

إن حدود علمي لا تصل إلى المعارف العميقة إنما تقتصر على تلك العامة.

وعندئذ أمر الملك خادمه بأن يحضر الكتاب، الذي كان يتصفحه في ذلك الوقت. وأُحضر الكتاب، وفتحه الملك تحت ضوء القمر. ثم أشار إلى الجزء الذي وجد صعوبة كبيرة في فهمه، فقام الرجل الغريب بتفسيره له كلمة كلمة، موضحاً المعنى بصورة مقنعة وسهلة الفهم. سرّ الملك كثيراً واندهش بشدة من سعة معرفته، وهكذا أمضى الاثنان الليلة في القراءة. وعندما افترقا قال له الملك: «لديك كل هذه المعرفة ولم تستغلها إلى الآن؟» ثم قال وهو يتنهد: «واحسرتاه على بلادنا!».

أشار له يوو بأنه يود الذهاب مباشرة إلى منزله، إذا سمح بأن يُفتح الباب له. لكن الملك أخبره بأن الوقت لا يزال مبكراً على فتح البوابة، وأنه مضطر لأن يبقى محبوساً هنا إلى أن يأتي الحراس ويفتحوا البوابة، وقال له: «اذهب الآن إلى المكان الذي كنت فيه، وعندما يطلع النهار وتُفتح البوابة يمكنك أن تغادر».

لم يكن أمام يوو خياراً آخر غير البقاء، لذا ألقى التحية على الملك وعاد عبر الحائط المهدوم إلى الركن الذي كان فيه في غرفة السكرتير. وعندما طلع الصباح، خرج عبر البوابة الرئيسية وعاد إلى منزله.

وفي اليوم التالي، أرسل الملك مبعوثاً خاصاً ليخبره بأنه عينه مشرفاً على المطبوعات الأدبية. ولدى انتشار نبأ تعيينه، تجمع كبار المسؤولين في المحكمة العامة، وقدموا احتجاجاً شديد اللهجة، عبّروا من خلاله عن غضبهم من منح هذه الوظيفة الهامة لرجل ليس من علية القوم.

فرد الملك عليهم قائلاً: «إذا كنتم معترضين إلى هذا الحد، فسوف أتراجع عن قراري».

لكنه أمر في اليوم التالي بتعيينه في وظيفة بدرجة أعلى من السابقة. فاحتج الوزراء مجدداً، وعاد جلالته يقول لهم: «حقاً، إذا كنتم معترضين بالفعل، فسوف أصرف النظر عن هذه المسألة».

وكما حدث في المرة السابقة، أنعم عليه في اليوم التالي بوظيفة بدرجة أعلى. فاحتجوا للمرة الثالثة، وكما في المرتين السابقتين

تظاهر بأنه خضع لهم، وفي اليوم التالي رفعه إلى درجة أعلى. ومن جديد انهمرت الاحتجاجات، وكانت هذه المرة كثيرة جداً وبدا للمحتجين أن الملك أذعن لرغبتهم. ولكنه أصدر في اليوم التالي مرسوماً عينه فيه نائباً لرئيس الأُدباء بالدولة.

عاد كبار المسؤولين إلى الاجتماع مجدداً، وأخذوا يتساءلون فيما بينهم عن ما يقصده الملك من كل هذا، وكيف يتصرفون معه. قال بعضهم: «إذا لم نتمكن بطريقة ما من منعه، فسوف يعينه رئيساً للأُدباء». وقرروا أن يصرفوا النظر عن المسألة في الوقت الحاضر، وأن يبحثوا لاحقاً عن حلّ أفضل.

بعد فترة قصيرة، أعلن القصر عن إقامة مأدبة ملكية، دُعيّ إليها كبار المسؤولين. فانتهز رئيس الوزراء المناسبة وقال للملك بهدوء: «ليس من اللائق أن ينال شخصاً مغموراً مثل هذه الوظيفة الهامة. لقد رقّيته جلالتك وتجاهلت جميع الوزراء. وعندما احتججنا لم تفعل شيئاً سوى ترقيته أكثر وأكثر. أرجو من جلالتك أن تفسر لنا الأمر؟».

لم يُجب الملك بشيء، لكنه أمر المخصي بأن يحضر كتاب التحولات. وعندما جاءه به فتحه عند الجزء الذي وجد صعوبة في فهمه، وسألهم عن معناه. فلم يستطع واحد من بين أرفع

الـوزراء مكانة أن يفهم كلمة واحدة مما قـرأه. فأخذ يسألهم بالاسم واحداً واحداً، لكنهم التزموا جميعاً الصمت. وعندئذ قال لهم الملك: «أنا مُهتم للغاية بقراءة كتاب التحولات، فهو كما تعلمون أعظم كتب الحكمة. وبالتأكيد، أن أي شخص يفهم معاني ما جاء فيه يستحق الترقية. أنتم جميعاً، عجزتم عن إدراك معاني ما جاء فيه، بينما يوو، الذي تحتجون عليه، فّسره كُله لي. الآن ما قولكم؟ لقد نال يوو هذه الترقية لأنه يستحقها، فعلام احتجاجكم؟ إذا لم تتوقفوا عن الاحتجاج، فسوف أرقيه أكثر وأكثر».

شعر الوزراء بالخوف والخجل من أنفسهم، ومن بعدها لم يفتحوا الحديث في هذا الأمر مرة أخرى.

ومنذ ذلك الحين، أصبح يوو المعلم الملكي لكتاب تشو يوك[1]، وظل يترقى إلى أعلى المناصب، حتى أصبح رئيساً لكلية كونفوشيوس وصاحب المقام الأرفع فيها.

(1) الاسم الصيني لكتاب التحولات (م).

لقاء مع العفريت المؤذي

في السنة التي تولى فيها الملك بيونغ صين الحكم، ورطتُ نفسي في مشكلة دخلت بسببها إلى السجن، وهناك التقيتُ عسكرياً اسمه تشوي ون صو. وعلمتُ منه أنه كان قائد الحرس، لكنه تورط في المشكلة نفسها، فحكم عليه أيضاً بالسجن. وكنا كثيراً ما نلتقي ونتسامر لساعات طويلة. وفي أحد الأيام جّرنا الحديث إلى الجن والعفاريت، فقال الكابتن تشوي: «التقيت في شبابي جنياً مؤذياً، وقف له شعري من شدة الخوف، وكدت أن أفقد حياتي.. كانت حادثة غريبة حقاً».

طلبت منه أن يخبرني بالقصة، فقال: «لست في الأصل من سكان سيول، ولكن عندما سمعت عن وجود منزل خال في بلدة بلت تاون، تقدمت بطلب وحصلت عليه. وانتقلنا إليه، أنا وأبي وجميع أفراد أسرتنا، حيث شغلوا هم الغرف الداخلية، في حين سكنت أنا في الغرفة الأمامية.

«وفي وقت متأخر من إحـدى الليالي، كنت فيها نصف نائم، فُتح الباب فجأةً، ودلفت منه امرأةٌ، وقفت أمام المصباح. رأيتها بوضوح، وعرفتها، فقد سبقت لي رؤيتها في منزل أحد زملائي في المدرسة، وشعرت بانجذاب نحوها لشدة جمالها، إلا أن الفرصة لم تؤاتني للانفراد بها. الآن، لدى رُؤيتها تدخل إلى غرفتي على هذا النحو المفاجئ أصابني الذهول، ورحبت بها بسرور، لكنها لم تجبني. فنهضت لأمسك يدها، لكنها بدأت تتقهقر إلى الخلف، وظلت يداي ممدودتين في الهواء ولم أتمكن البتة من الوصول إليها. وأسرعت مندفعاً خلفها، لكنها استعجلت خطواتها نحو الخلف أكثر وأكثر وتملّصت مني. إلى أن وصلنا إلى البوابة، فتحتها برفسة بقدمها وعبرت منها، وظللت أتبعها إلى أن اختفت فجأة. بحثت عنها في كل مكان لكنني لم أجد لها أثراً. فاعتقدت أنها اختبأت في مكان ما فحسب، ولم أفكر في أي شيء آخر.

«وفي الليلة التالية، جاءت مرة أخرى ووقفت أمام المصباح كما فعلت تماماً في الليلة السابقة. نهضت من مكاني وحاولت مجدداً أن أمسك بها، لكنها كما حدث في المرة الماضية بدأت تتقهقر إلى الوراء، إلى أن خرجت من البوابة واختفت. فشعرت بمزيد من الدهشة وانتابني اليأس، ولكن لم يخطر ببالي بأنها ربما تكون عفريتة أو جنية شريرة.

«وبعد بضعة أيام لاحقة، بينما كنت مضطجعاً في منتصف الليل، سمعت فجأة صوت طقطقة ورق يأتي من جهة السقف، كان الصوت مخيفاً ومروعاً. وبعد لحظة، سقطت الستارة وقسمت الغرفة قسمين. ثمّ هبطت جمرات كبيرة من النار أمامي مباشرة، وغدا المكان حاراً جداً، وبدا لي أن النار تشتعل في الغرفة كلها، ولم يكن أمامي سبيلاً للهرب. خفت على حياتي ووجدتني عاجزاً عن التصرف. ومع صياح الديك إيذاناً بقدوم الصباح اختفت الضوضاء، وعادت الستارة إلى مكانها، كما اختفت أيضاً جمرات النار. وبدا المكان وكأنه كُنس لتوه بالمكنسة، فغدا نظيفاً خالياً تماماً من أي أثر لما حدث في ليلة الأمس.

«وفي الليلة التالية، وكنت فيها أيضاً بمفردي في غرفتي، ولم أغير ملابسي بعد أو أستلقي في فراشي، فُتح الباب فجأة ودخل منه رجل ضخم الجثة. يعتمر على رأسه لبادة جندي، ويرتدي سترة من اللون الأزرق كالتي يرتديها عبيد اليامن. قبض عليّ وحاول أن يجرني إلى الخارج. كنت وقتها شاباً وفي كامل عنفواني، ولم يكن في نيتي الاستسلام له، فدخلنا في صراع.

«كان القمر في تلك الليلة مشعاً، والسماء صافية، لكنني لم أستطع الإفلات من قبضته، فجّرني إلى الخارج نحو الساحة. وهناك رفعني إلى الأعلى وأخذ يدور بي ويطوحني في الهواء، ثمّ صعد بي إلى الشرفة وألقاني من أعلى إلى الأرض، فأصابني الذهول وغشيني الفزع. رفعت رأسي فوجدته يقف في مواجهتي يحتجزني بجسده، فلم أستطع الحراك. وكان يوجد خلف المنزل حديقة محاطة بسور. نظرتُ صوبها فرأيت عشرات من الناس أو ربما أكثر في داخل السور، يرتدون جميعهم قبعات ومعاطف عسكرية، وكانوا يصيحون قائلين: «لا تؤذه، لا تؤذه».

«بيد أن الرجل الذي أساء معاملتي، أجابهم: هذا ليس من شأنكم، ليس من شأنكم لكنهم ظلوا يصيحون: «لا تؤذه، لا تؤذه!» وهو في المقابل يصيح: لا تتدخلوا، هذا ليس من شأنكم فصاحوا قائلين: «إنه رجل نبيل وله رتبة عسكرية، لا تؤذه». فكان رده فحسب: «حتى لو كان كذلك، هذا ليس من شأنكم» ثمّ عاد ورفعني لأعلى بيديه مرة أخرى، وقذفني عالياً في الهواء، حتى شعرت أنني قطعت أكثر من نصف المسافة إلى السماء. وأثناء سقوطي إلى الأرض، مررت بلمح البصر من إقليم كيونغ كيو، ومنه إلى إقليم تشونغ تشونغ، وأخيراً سقطت أرضاً في إقليم

تشولا. وأثناء تحليقي في الفضاء، رأيت جميع المدن الواقعة في الأقاليم الثلاثة، كانت واضحة تماماً، كما هي في وضح النهار.

«وأنا في تشولا، عاد الجني ليقذفني مرة ثانية في الهواء ولكن لمسافة أعلى من المرة السابقة. ومجدداً عبرت السماء في لمح البصر وسقطت نحو الشمال، إلى أن وجدت نفسي في منزلي، أستلقي مُخّدراً أسفل مصطبة الشرفة. ومن جديد، كانت تصلني أصوات المجموعة التي شاهدتها في الحديقة وهي تصيح: «لا تؤذه– لا تؤذه». لكن الرجل عاد يقول لهم هذا ليس من شأنكم– ليس من شأنكم.

«رفعني لأعلى من جديد وقذفني في الهواء، فذهبت بسرعة هائلة إلى تشولا، ثم عدت إلى حيث كنت مرة ثانية، وكرر هذه الحركة معي مرتين أو ثلاث مرات.

«ثمّ تقدم نحونا واحد من مجموعة الحديقة، وشد الجني الشرير مُعّذبي من يده وأبعده عني. ثمّ وقفوا جميعهم مع بعضهم بعضهم يتحدثون ويضحكون حول ما حدث. وأخيراً، تفرقوا واختفوا ومن يومها لم أرهم ثانية.

«كنت ملقى عند عتبة الشرفة عاجزاً عن الحركة عندما وجدني أبي في صباح اليوم التالي، وأخذني من يدى إلى الداخل وسهر عليّ إلى أن استرددت قواي، ومن ثم غادرنا جميعاً ذلك المنزل المسكون، ولم نعد إليه مطلقاً».

انتقام الثعبان

في قديم الزمان، عاش قرب البوابة المائية في سيول جندي بارع في رمي السهام، قوي البنية، ومشهور بشجاعته وبسالته، وذات يوم، وقت الظهيرة، وهو يتمشى، رأى ثعباناً كبيراً يحاول عبور البوابة المائية، وكان رأسه قد عبر القضبان بالفعل، ولكن نظراً لأن جسمه أكبر حجماً من رأسه، بقي عالقاً ولم يستطع الثعبان تمرير جسمه من بين القضبان. وعندما رآه الجندي على هذا الوضع، سحب سهماً من جرابه وثبّته في الوتر وصوبه باتجاهه، فأصابه في رأسه بضربة قاتلة أردته قتيلاً، ثمّ جره إلى خارج البوابة وسحقه بقدمه حتى أصبح ليناً كالعجينة ثمّ تركه ومضى.

وبعد انقضاء فترة قصيرة على هذه الحادثة، حملت زوجة الجندي وأنجبت صبياً. ومنذ اليوم الأول لمولده، نفر الطفل من أبيه. وكان كلما رآه، ينفجر في البكاء والصياح وتكسو وجهه ملامح الرعب والخوف. ومع تقدمه في العمر، صار كرهه لرؤية

أبيه يزداد أكثر وأكثر. فانتابت الرجل الشكوك حيال ما يحدث، وبدلاً من أن يحب ابنه، أصبح لا يطيقه.

وذات يوم، اجتمع الاثنان بمفردهما في الغرفة، حيث كان الجندي يأخذ قيلولة الظهر، مغطياً وجهه بكمه، دون أن تغفل عينه عن الولد طوال الوقت ليرى ماذا سيفعل. كان الولد من جهته يُحملق في وجه أبيه، وظناً منه بأنه نائم، استل سكيناً واندفع تجاهه بنية طعنه. وعندئذ، قفز الرجل من فراشه، وخطف السكين منه وطعنه بها فخرّ على الأرض ميتاً. وبعد ذلك سحقه بقدمه حتى أصبح جسده ليناً كالعجين، ثمّ تركه وغادر.

انفطر قلب الأم على صغيرها، وبكته بحرقة، ثم غطت جثمانه باللحاف وبدأت تعد العدة لدفنه. ولكن بعد قليل، بدأ اللحاف يتحرك، فأصابها الفزع وهبت من مكانها ورفعت اللحاف لتعرف ما الذي حدث. ويا لهول ما رأت! فجثمان طفلها الميت الذي كان تحت اللحاف لم يعد له أثر، وبات يستلقي في محله ثعبان كبير ملتف حول نفسه. قفزت الأم إلى الخلف من شدة الخوف، وغادرت الغرفة ولم تدخلها مرة ثانية.

وعندما حلّ المساء، عاد زوجها إلى المنزل، وسمع بالقصة المروعة، فدخل إلى الغرفة ليلقي نظرة، وفي تلك اللحظة كان

الطفل قد تحّول تماماً إلى ثعبان كبير، تظهر على رأسه تلك الندبة التي سببها السهم الذي صوبه الجندي نحوه. وفي الحال، أدرك الأخير بأنه الثعبان نفسه الذي قتله عند البوابة المائية منذ فترة، فقال له: «أنا وأنت في الأصل لسنا أعداء، أعترف بأنني أخطأت عندما صوبت إليك سهمي، ولكن عقدك النية على الانتقام مني من خلال التنكر في صورة ابني، لهو عمل مريع. ما فعلته يثبت أن اشتباهي بك كان صائباً وعادلاً. لقد ظهرت في صورة ابني لتقتلني، تقتل أباك، وتريدني أن لا أحاول بدوري قتلك؟ إذا فعلتها مرة أخرى، فستكون نهايتك على يدي. لقد حققت انتقامك مني بالفعل، وها قد عدت الآن إلى شكلك الأصلي، دعنا ننسى الماضي ونصبح صديقين منذ الآن. ما قولك؟».

كرر قوله هذا عدة مرات يحثه على قبول اقتراحه، بينما أطرق الثعبان رأسه وكأنه ينصت بتركيز. ثمّ فتح الرجل باب الغرفة وقال: «أرجو أن تغادر الآن من فضلك». وبالفعل، رحل الثعبان، وتوجه مباشرة إلى البوابة المائية، وعبر من بين القضبان. ولم يظهر من بعدها.

الحاكم الشجاع

في قديم الزمان، في واحـدة من مدن إقليم هام كيونغ[1] الشمالي، عاش عفريت شرير ذو رائحة مقيتة، تسبب في إبادة الكثير من الأرواح. فيحكى أنه تعاقب على كرسي الحكم أكثر من حاكم، ولكن خلال عشرة أيام من وصولهم، ألَمّ بهم كرب عظيم أدي بهم إلى الوفاة، لذلك زهد رجال تلك المدينة في كرسي الحكم وكل ما يتعلق به. ووصل عدد الرافضين إلى أكثر من مائة رجل. إلى أن قبل به أخيراً جندي شجاع، ليس من ذوي النفوذ الاجتماعي أو السياسي، لكنه كان رجلاً قوي العزيمة، مقداماً لا يهاب المخاطر.

قبل قبوله للمنصب، سبق للجندي أن فكر في سره: «حتى ولو كان يوجد شرير هناك، هذا لا يعني بالتأكيد أنه سيقتل جميع الرجال. سوف أحاول القضاء عليه». وهكذا ودّع الجندي أهله ورفاقه، وذهب إلى وظيفته الجديدة. ولدى وصوله اليامن اكتشف أنه بمفرده في المكان بعد أن فرّ الجميع. ومنذ اليوم الأول

(1) يقع في أقصى شمال كوريا الشمالية (م).

له في المكان، اشتم رائحة سمك نتنة تنبعث من المكان، وكانت الرائحة البغيضة تزداد يوماً بعد يوم. ولذلك صار يتجول في أنحاء اليامن مسلحاً بخنجر يحتفظ به في حزامه.

وبعد انقضاء خمسة أو ستة أيام، لاحظ أيضاً ما يشبه الضباب يغيم بكثافة على البوابة الخارجية، وأن الرائحة النتنة تنبعث منه. وظلت الرائحة تزداد بصورة يومية بشكل مزعج حتى صارت لا تطاق وعندما أكمل العشرة أيام، المدة المحددة لموته، هرب موظفو القصر وجميع الخدم الذين كانوا قد عادوا بعد وصوله إلى هناك. وبقي الحاكم الجديد بمفرده، فلجأ إلى الشراب وأبقى بجواره جرة منه يرتشف منها جرعة بين الحين والآخر ليقوي عزيمته، إلى أن ثمل تماماً، وظل على هذه الحال ينتظر وصول العفريت.

وأخيراً، لمح طيفاً ما آتياً من جهة البوابة الرئيسية محاطاً بالضباب، تعادل كتلته حجم ثلاثة أو أربعة أشخاص، وطوله يتجاوز الخمسة عشر قدماً. كان عديم الرأس، كما لا يظهر له جسم أو ذراعان وكانت عيناه تدوران بوحشية.

قفز الحاكم من مكانه في الحال، واندفع نحوه وهو يصيح بعلو صوته ووجه له طعنة بسيفه، فنمّ عنه صوت يشبه دوي الرعد، وتبدد الطيف تماماً ولم يعد له أثر، وكذلك اختفت في الحال الرائحة الكريهة التي كانت تصاحبه.

بتأثير الشراب، خر الحاكم على الأرض منكباً على وجهه، فظن الخدم أنه مات، وتجمعوا في الفناء ليعدوا لجنازته. ولكن بعضهم انتبه إلى أنه واقع على الأرض، وتذكروا أنهم كانوا يجدون جثث هذا العفريت الشرير ملقاة في الشرفة، في حين جثته هو ملقاة في القاعة السفلية.

ولأنهم ظلوا يعتقدون أنه ميت، أسرعوا نحوه، ورفعوه عن الأرض ليباشروا تجهيزه للجنازة، وعندئذ عاد فجأة إلى الحياة، ونظر إليهم والشرر يقدح من عينيه، متسائلاً عما ينوون فعله به. فتملكهم الخوف والدهشة. ومن ذلك اليوم فصاعداً لم يعد للرائحة البغيضة وجود.

معبد إله الحرب

أثناء الحرب اليابانية[1] في فترة حكم الملك سون جو، أرسلت سلالة مينج جيشاً كبيراً اجتاح البلاد من جهة الشرق، طردوا الأعداء وأعادوا السلام والأمان. وبعدئذ، أخبر قائد مينج جلالة الملك الكوري أن إحراز النصر على الأعداء كان بفضل مساعدة الكوان[2]. ونصحه قائلاً: «لا تتوقع أن تستمر في الحكم وتحافظ على موقعك ما لا تبنِ له المعابد تعبيراً عن امتنانك العظيم له».

أخذ الملك بالنصيحة وأصدر أوامره في الحال ببناء المعابد في كل مكان لعبادته وتقديم القرابين له. وتم العزم على بناء معبد في الجنوب وآخر في شرقي المدينة. وأثناء فحص الموقعين، لم يتم الاتفاق بشأن المعبد الذي سيكون في الجهة الجنوبية. فقد أراده بعضهم بالقرب من سور المدينة، في حين فضل بعضهم الآخر أن يكون بعيداً.

---

(1) الغزو الياباني لمملكة كوريا القديمة 1592 (المؤلف).
(2) لفظة كورية تعني «إله الحرب» (المؤلف).

في ذلك الوقت، كان أحد المسؤولين ويدعى بي هانغ بوك يشغل منصب رئيس اتحاد المعابد، قصده أحد الجنود وطلب مقابلته. وعندما التقاه وجده رجلاً قوي البنية، ويدل مظهره على العظمة. وقبل أن يتحدث معه طلب منه أن يصرف جميع الخدم لأنه يود التحدث معه على انفراد. ومن ثَمَّ انفرد به وأطلعه على فحوى رسالته. وبعد أن أدى مهمته ودعه وغادر.

صادف في ذلك الوقت وجود صديق قديم يزور هانغ بوك، بيد أنه غادر المنزل مثلما فعل الخدم بناء على رغبة الزائر الغريب. وعندما عاد هذا الصديق إلى المنزل لاحظ أن وجه صديقه تعتليه تعبيرات غريبة، فسأله عما جرى، فلم يجبه الأخير في الحال، لكنه أخبره لاحقاً أن شيئاً غير عادي حدث معه. فالجندي الذي جاء لزيارته لم يكن سوى رسول من قبل إله الحرب. وكان سبب مجيئه يتعلق بالقرار الذي لم يتخذ بعد بشأن موقع المعبد.

قال له: «لقد جاء ليريني أين يجب أن يتم بناء المعبد، وألح عليّ أنها ليست مجرد مسألة وقت فقط، وإنما تتعلق بالخلود. ونبهني أنه إذا لم نشيده في المكان الصحيح، فلن يجعلنا إله الحرب نعيش في سلام. فأخبرته بأنني سأبذل أقصى ما في وسعي. أليس هذا غريباً؟».

انتاب صديقه القلق لدى سماعه بهذه الرواية، ولكن هانغ بوك حذره من ذكرها أمام أحد. ومن ذلك اليوم فصاعداً، سَخَّر هانغ بوك جهوده لتنفيذ وصية الرسول، وفي النهاية شيّد المعبد في الموقع المصّدق عليه، حيث هو الآن.

زيارة الروح

في يوم من الأيام، ارتدى أحد الوزراء، وكان يشغل منصب أمين القصر، ملابسه الرسمية، استعداداً للذهاب إلى العمل، إلا أنه وجد الوقت لا يزال مبكراً إلى حد ما على الخروج من المنزل، فاضطجع لبعض الوقت في فراشه سانداً رأسه على ذراعه، فغلبه النعاس فنام، وإذا به يرى مناماً. وفي هذا المنام رأى نفسه في طريقه إلى القصر محمولاً على محفة، وبينما يقطع الجسر الواقع عند مدخل شارع القصر الغربي، شاهد أمه فجأة قادمة نحوه تسير على قدميها. فترجل عن محفته على الفور، وانحنى أمامها وهو يقول: «لماذا تأتين على هذا النحو يا أمي، تسيرين على قدميك بدلاً من أن تكوني محمولة على كرسي».

أجابته: «لقد تركت عالمكم، والأشياء في عالمي الجديد ليست مثل الأشياء في عالمكم، ولهذا جئت سيراً».

سألها الابن: «من فضلك، قولي لي إلى أين أنت ذاهبة؟».

أجابت: «لدينا خادم يعيش في يونغ صان. واليوم، تقيم الساحرات طقوس الصلاة، لذلك أنا ذاهبة إلى هناك لأشارك في تقديم القرابين».

قال الابن: «ولكن، نحن نقيم في منزلنا أياماً للقرابين، العديد منها، مرة في كل فصل من الفصول الأربعة، وأيضاً في الأول والخامس عشر من كل شهر. لماذا تذهبين إلى منزل الخادم ولا تأتين إلى منزلنا عندما نقيم القرابين؟».

أجابت الأم: «قرابينكم لا تهمني، أنا أحب الصلوات والابتهالات التي تؤديها الساحرات. فبدون وسيط روحي أرواحنا لا تجد السكينة. أنا في عجلة من أمرى ولا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك» قالت هذا وودعته وانصرفت.

هب أمين القصر من نومه مفزوعاً، وهو يشعر بأنه شاهد أمه حقاً.

وعندئذ، نادى على الخادم وطلب منه أن يذهب في الحال إلى منزل الخادم (فلان) في يونغ سان، ليخبره بأن يأتيه

هذه الليلة من دون تأخير. قال له: «اذهب بسرعة، لتتمكن من العودة قبل أن أذهب إلى القصر». ثم جلس يفكر بما حدث معه.

وقبل بزوغ ضوء النهار، ذهب الخادم وعاد مجدداً، ولكن نظراً لبرودة الطقس لم يتوجه الخادم إلى سيده مباشرة، وإنما ذهب قبلها إلى المطبخ لكي يحصل على بعض الدفء أمام النار، وكان هناك خادم رفيق له سأله: «هل شربت شيئاً هناك؟».

أجابه: «لقد وجدتهم يقيمون جلسة ساحرات في يونغ صان، وبينما كانت الماتانغ[1] تؤدي الصلاة، سمعتها تقول إن الروح التي تملكتها هي روح أم معلمنا. ولدى ظهوري نادتني باسمي وقالت: «هذا خادم من منزلنا». ثمّ دعتني للاقتراب منها وقدمت لي كوباً كبيراً من المشروب. ثمّ مضت في حديثها وقالت: «في طريقي إلى هنا التقيت ابني وهو ذاهب إلى القصر».

(1) الماتانغ: أي الساحرة، وخاصة التي تقوم بتحضير الأرواح (م).

كان أمين القصر جالساً آنذاك في الغرفة المجاورة للمطبخ، وسمع حديث الخادم كاملاً، فشعر بغصة في حلقه وسالت الدموع من عينيه. ثمّ نادى الخادم، واستفسر منه عن كل شيء بالتفصيل. وتأكد بعدها تماماً بأن روح أمه ذهبت في صباح ذلك اليوم لتشارك في جلسة تحضير الأرواح في بيت الخادم الذي أشارت إليه في حديثها معه في الحلم. وفي الحال، استدعى الماتانغ، ليقمن الصلوات على روحها ويقدم لها القرابين. ومن ذلك الحين فصاعداً، أصبح يقدم لها القرابين أربع مرات في العام، مع بداية كل فصل من الفصول الأربعة.

القائد الشجاع

فيما مضي، يحكي أن جندياً يدعى بي مان جي من إقليم يونغ نام[1] كان رجلاً قوي العضلات، وشجاعاً كالأسد. عيناه خضراوتان ووجهه مرعب. وكان دائماً يردد «الخوف! ما هو الخوف؟» وذات يوم وهو في منزله، هبت عاصفة ممطرة بشكل مفاجئ، صاحبها صاحبها الكثير من البرق والرعد. واحدة منها جاءت بكرة كبيرة من النار سقطت على منزله وتدحرجت عبر الغرف باتجاه الشرفة، ثم دخلت المطبخ وخرجت منه إلى الساحة، ومن ثم إلى حجرات الخدم. ولعدة مرات ظلت تروح وتأتي بقوة، وهي تلتهب وتهدر بصورة تبث الرغب في القلوب.

لكن بي لم تهتز له شعرة، وبقيّ جالساً في الشرفة الخارجية. كان يفكر في نفسه: «لم أرتكب خطأ في حياتي، لذا لماذا أخاف من البرق؟» وبعد برهة من الوقت، ضربت صاعقة شجرة الدردار الكبيرة المزروعة أمام منزله، فحطمها إلى قطع صغيرة. وبعدها توقف المطر والرعد أيضاً.

(1) يقع جنوبي شرق كوريا الجنوبية، ويصل إلى البحر الجنوبي. (م)

دخل بي المنزل ليتفقد أسرته، فوجدهم جميعاً مطروحين على الأرض فاقدي الوعي. وبصعوبة كبيرة أعاد إنعاشهم. ولكن خلال تلك السنة مرضوا جميعاً وماتوا. ورحل بي بعدها إلى سيول، حيث أصبح قائداً للحرس الملكي. ثم غادر سيول بعد فترة قصيرة متوجهاً إلى مقاطعة هام كيونغ في الشمال، حيث استقر متخذاً لنفسه زوجة ثانية.

في تلك الأثناء، كان جميع أهله قد ماتوا بسبب الجن والعفاريت. وتولد لدى البقية منهم الذين بقوا على قيد الحياة اعتقاداً بأن الكارثة التي حلت بهم لها علاقة بالمنازل الحكومية التي يقطنوها، لذلك قرروا النزوح عنها إلى منازل قروية بسيطة. وكان بي هو الوحيد الذي لم يصدق ذلك، وأصر على تجاهل الخوف، وقرر العودة إلى منزله القديم، وبالفعل عاد إلى هناك وأعاد إصلاح المنزل وعاش فيه مع زوجته.

وذات ليلة، بينما كانت زوجته داخل المنزل، وهو يجلس بمفرده في حجرة مكتبه على ضوء شمعة، وكانت الساعة توشك على الثانية من بعد منتصف الليل، شاهد شيئاً غريباً آتياً من الداخل. كان يبدو مثل جذع شجرة ملفوفاً في قماش خيش أسود اللون. لم يكن له شكل محدد أو واضح لكنه جاء يقفز وجلس أمامه مباشرة. ولحق

به شكلان مماثلان. جلس ثلاثتهم في صف واحد أمامه، ثم أخذوا يقتربون منه شيئاً فشيئاً. فأخذ بي يتراجع نحو الخلف حتى كاد أن يرتطم بالجدار، ولم يعد أمامه سبيل للتراجع لأكثر من ذلك. وعندئذ قال لهم: «من أنتم، كيف تأتون بهذه الحالة، أي نوع من الشياطين أنتم، بربكم، كيف تجرؤون على الاندفاع نحوي بهذا الشكل وأنا جالس في مكتبي؟ إذا كان لديكم أي شكوى أو مسألة بحاجة إلى تصحيح، أخبروني بها، وسوف أتدبر أمرها».

فأجابه الشيطان الذي كان يجلس في الوسط: «أنا جائع، أنا جائع، أنا جائع».

فرد عليه بي: «هل أنت جائع؟ حسن جداً، تراجع الآن إلى الخلف وسوف آمر بإعداد الطعام لك بوفرة». ثم ردد وصفة سحرية كان قد تعلمها، وطقطق أصابعه. وبدا أن الشياطين الثلاثة خافوا من هذه الحركة. عندئذ أغلق بي قبضته جيداً ووجه لكمة للشيطان الأول، لكن الشيطان تفاداها برشاقة فلم تصبه، وارتطمت بالأرض وجُرحت يده.

وعندئذ صاح الشياطين الثلاثة بصوت واحد: «سوف نذهب، سوف نذهب، بما أنك تعامل ضيوفك على هذا النحو». وغادروا الغرفة في الحال واختفوا.

وفي اليوم التالي، ذبح بي مان جي الثيران وقدمها قرابين لهؤلاء الشياطين، ومن يومها لم يعودوا أبداً.

ملاحظة: الكثير من الرجال قتلوا على أيدي العفاريت، هذا ليس لأن العفاريت أشرار وإنما لأن الرجال كانوا يخافونهم. العديد منهم ماتوا في مقاطعة هام كيونغ، ولكن أولئك الذين تحلوا بالشجاعة، وهاجموهم بالسكاكين، أو ضربوهم وطرحوهم أرضاً، كتبت لهم الحياة. لو كانوا خافوا منهم، لكان مصيرهم بدورهم الموت.

ملك يوم نا[1]

في مقاطعة يون نان، في إقليم وانغ هاي، كان تلميذ تخرج في كلية الآداب لا أذكر اسمه، قد سقط مريضاً في أحد الأيام، ولازم حجرته متوسداً ذراعيه. وفجأة ظهرت أمامه أرواح عدد من الجنود، قالوا له: «حاكم جهنم السفلية أمرنا أن نقبض عليك»، وأقبلوا عليه وقيدوه بسلسلة من رقبته، وقادوه بعيداً. ساروا به مسافة عدة مئات من الأميال، وفي النهاية وصلوا إلى مكان يحيط به سياج بالغ الارتفاع، عبروا منه ومضوا إلى الداخل لمسافة بعيدة.

في داخل هذا السياج، كان يوجد مخلوق ضخم يكاد من فرط طوله أن يلامس السماء. وعندما وصل التلميذ إلى بوابة هذا السياج، وعبرها برفقة الأرواح إلى الساحة الداخلية، ألقوه أرضاً على وجهه.

(1) بمعنى الجحيم (المؤلف).

رفع رأسه قليلاً إلى الأعلى فلمح ما يشبه الملك جالساً على العرش. يحيط به الحرس من كل اتجاه. كما كان هناك أيضاً عدد لا حصر له من المساعدين والجنود يروحون ويجيئون يؤدون بعض المهام. كان مظهر الملك مخيفاً للغاية، وأوامره تُلقي الرعب في قلب من يتلقاها. شعر التلميذ بالعرق يتصبب في ظهره، ولم يجرؤ على النظر إليه. وبعد قليل، تقدم أحد المساعدين نحوه، ووقف قبالة المنصة التي يجلس عليها الملك لينقل أوامر الملك إليه، سأل الملك: «من أين أتيت؟ ما اسمك؟ كم عمرك؟ وماذا تعمل لتعيش؟ أخبرني الحقيقة الآن، ولا تخدعني».

أجاب وهو يكاد يموت من شدة الخوف: «كنيتي كذا، واسمي كذا». وأضاف: «أنا كبير في السن، وعاصرت عدة أجيال في يون نان، التابعة لإقليم وانغ هاي. أنا بطبيعتي شخص غبي وأفتقد للمهارات، لذلك لا أعمل في أي شيء خاص. سمعت طوال حياتي أنه إذا كنت تؤدي تسابيحك بحب وقلب خاشع فسوف تنجو من جهنم، لذلك كنت أُكرس وقتي للتضرع إلى بوذا، وتوزيع الصدقات.

نقل المساعد ما سمعه من التلميذ إلى الملك في الحال. وبعد بعض الوقت عاد حاملاً منه رسالة تقول: «اصعد واقترب، فأنت لست الشخص المقصود. لقد صادف أنك تحمل نفس الاسم لذلك أُلقي القبض عليك عن طريق الخطأ. تستطيع أن تذهب الآن».

ضم التلميذ يديه وانحنى أمامه. ومرة ثانية نقل المساعد رسالة من الملك تقول: «منزلي على الأرض يقع في منطقة كذا في حي كذا في سيول. أريد أن أرسل معك رسالة لعائلتي. لقد مضى على قدومي إلى هنا وقت طويل، ومعطف الخروج الذي أرتديه أصبح رثاً وبالياً. أخبر عائلتي أن يرسلوا لي معطفاً جديداً. إذا فعلت ذلك فسوف أكون ممتناً لك للغاية، لذا آمل أن لا تنسى».

قال التلميذ: «وصلتني رسالة جلالتك وسوف أنقلها مباشرة من دون تقصير، ولكن هناك اختلاف كبير بين العالمين، العالم المظلم والعالم المنير، لذلك عندما أُوصل الرسالة سوف يقول من سيتلقاها مني بأن ما أقوله هُراء. صدقاً، سوف أنقُلها من جهتي كما أمرتني تماماً، ولكن ماذا لو رفضوا الإنصات؟ ينبغي أن أقدم لهم دليلاً ما كبرهان على صدق كلامي».

أجابه الملك: «كلامك صحيح، صحيح جداً. إليك ما سوف يساعدك: عندما كنت على الأرض، واحدة من شارات الرتبة[1] التي كنت أرتديها، كانت حافتها مكسورة، وأخفيتها في الجزء الثالث من كتاب التاريخ. أنا الوحيد الذي يعرف مكانها، ولا يعرف به أحد آخر في العالم. إذا أعطيتهم هذه المعلومة كدليل فسوف ينصتون لك».

فرد الأديب: «هذا يفي بالغرض، ولكن مرة أخرى، قل لي كيف أتصرف عندما يجهزون المعطف الجديد؟»

فكان جوابه: «جهزوا القرابين، وضعوا المعطف بجانب النار، وسوف يصلني».

انتهي الحديث، وألقى التلميذ على الملك تحية الوداع، وأرسل معه الملك اثنان من الحرس. وبعد أن خرج، سأل الحارسين عن الرجل الذي يجلس على العرش، فأجاباه: «إنه ملك مثوى الموتى، كنيته باك واسمه أوو[2]».

(1) تعتبر شارة الرتبة ذات قيمة كبيرة في كوريا وعادة ما تكون من ضمن الارث (المؤلف).

(2) ابن الوزير باك تشوم، الذي كان واحداً من المراقبين الملكيين وتوفي في الحرب اليابانية عام 1592 (المؤلف).

وصلوا إلى ضفة النهر، ودفعه الجنديان إلى داخل الماء، فاستيقظ مفزوعاً، ليكتشف أنه كان ميتاً منذ ثلاثة أيام.

وعندما شفي من مرضه، توجه إلى سيول، وفتش عن المنزل المشار إليه، وعندما وصل إليه وسأل عن أصحابه وجد أن صاحبه ليس سوى باك أوو. كان لهذا ولدان، كانا في ذلك الوقت قد تخرجا في الجامعة ويتبوآن مناصب هامة في الدولة. أراد التلميذ لقائهما، لكن حارس البوابة لم يسمح له بالدخول. لذلك وقف أمام البوابة الحمراء ينتظر ببؤس إلى أن غربت الشمس. وعندئذ خرج من الساحة الداخلية للمنزل خادم طاعن في السن، فتوسل إليه بأن يأخذه ليرى سيد المنزل. عاد الخادم إلى داخل المنزل وعرض الأمر على السيد، فأمر الأخير بأن يُسمح له بالدخول. ولدى دخوله، شاهد رجلان نبيلان تبدو عليهما العظمة. دعواه إلى الجلوس وسألاه مع من يريد أن يتحدث وماذا لديه ليقوله؟

أجاب: «أنا تلميذ أعيش في مقاطعة يون نان التابعة لإقليم وانغ هاي. توفيت في يوم كذا وانتقلت إلى العالم الآخر، وهناك التقيت أباكم المبجل وأمرني أن أحمل لكما رسالة».

استمع إليه الولدان قليلاً، وقبل أن يكمل كل ما في جعبته من كلام، ثارا غاضبين وأخذا يصيحان به قائلين: «كيف يجرؤ شخص تافه مثلك أن يأتي إلينا في عقر دارنا ويقول ما قلته؟ ما

تقوله هُراء وغير معقول. وأمرا الخدم: «اقذفوه إلى الخارج».

لكنه رد عليهم: لديّ دليل على صدق ما قلته، استمعا لي، إذا تبين لكما أنه زائف، ألقيا بي عندئذ إلى الخارج»

فقال أحدهما: «ما هو الدليل الذي بحوزتك؟» فأخبره التلميذ بدقة وحرص شديدين قصة الشارة. ولدى سماعهما ذلك، غشت الاثنان الدهشة، وأحضرا الكتاب ليتأكدا من صحة قوله، وتبين بالفعل أنه يوجد في قلب الجزء الثالث من كتاب التاريخ أزرار الشارة التي أشار إليها. فتأكدا من أنه صادق في كل كلمة قالها. لقد كانت الأزرار التي فقداها بعد موت أبيهما، وبحثا عنها في كل مكان من دون جدوى.

أقرا في تلك اللحظة بصحة الرسالة، ودخلت الأسرة جميعها في فترة حداد. حتى إن نساء العائلة بدورهن استدعينه وسألنه عما شاهده.

وهكذا قاموا بتحضير المعطف، وحددوا يوماً، ووضعوه بالقرب من النار. وبعد مرور ثلاثة أيام على تقديم القرابين، رأى التلميذ في منامه وكذلك عائلة بارك أوو، أن ملك مثوى الموتى زارهم وشكرهم واحداً واحداً على المعطف. ومن بعد ذلك، استضافت عائلة باك أوو التلميذ في منزلهم، وعاملوه باحترام

كبير، وأصبحوا أصدقاءه الحميمين للأبد.

عندما كنت في هاي جو، التقيت طالباً في الجامعة، يدعى تشوي يو تشوم، هو الذي أخبرني هذه القصة.

تجارب هونغ في مثوى الموتى

ولد هونغ ناي بوم عام 1561م، تخرج من العسكرية، وعاش في مدينة بيونغ يانغ. اجتاز الامتحان الإمبراطوري عام 1603م، ونال الدرجة الثالثة في العام 1637م. كان عمره 82 عاماً في سنة 1643م، عندما قدم ابنه سونن مذكرة إلى الملك يطلب منه أن ينعم على أبيه برتبة تتناسب مع عمره. لكن رئيس أمناء السر في ذلك الوقت، هان هونغ كيل، لم يسمح بتمرير الطلب إلى جلالة الملك. وصادف في عام 1644م، عندما كان ولي العهد عائداً من منفاه في الصين، أنه مر في طريقه ببيونغ يانغ. فانتهز سونن الفرصة وقدم الطلب نفسه إلى ولي العهد. فتلقاه منه، ورفعه مع تعليق بسيط منه إلى الملك. وعلى إثرها، تلقى هونغ الدرجة الثانية. ولدى تلقيه الخبر قال: «سوف أموت هذه السنة» وبعد فترة قصيرة توفي بالفعل.

في العام 1594م، أصيب هونغ بحمى التيفوس، وبعد عشرة أيام من المعاناة، توفي. وقامت عائلته بتجهيز جثمانه من أجل

دفنه، ووضعوه في التابوت. وعندما غادر الأصدقاء والأقارب، وبقيت زوجته مع الجثمان بمفردها. التف الجثمان فجأة وسقط على الأرض محدثاً صوت ارتطام. ارتعبت المرأة من شدة الخوف، وأصيبت بالإغماء، فجاء أفراد العائلة على وجه السرعة لمساعدتها. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً عاد هونغ إلى الحياة ليستأنف وظائفه.

ولدى استيقاظه من سكرة الموت قال: «ذهبت في منامي إلى إقليم ما، مكان مخيف للغاية يقف فيه عدد كبير من الأشخاص دون أن يفعلوا شيئاً، كانوا غيلان في غاية البشاعة، بعضهم لديه رؤوس ثيران، وبعضهم الآخر لديه وجوه حيوانات مفترسة. وقد اجتمعوا في مكان واحد، وراحوا يقفزون ويحاولون الانقضاض عليّ من مختلف الجهات. وكان هناك ناسخ يرتدي ثياباً سوداء جالساً فوق منصة، ناداني قائلاً: «توجد ثلاث ديانات في الكرة الأرضية: الكونفوشيوسية، البوذية، والطاوية. وفقاً للبوذية، أنت تعلم أن الجنة وجهنم مكانان يفصلان بين الأعمال الجيدة للإنسان والأعمال الشريرة. فيما مضى كُنت تلعن بوذا، ولا تؤمن بوجود حياة بعد الموت، وتتصرف دوماً وكأنك عالم في كل شيء، وتتحدث بصخب وغضب. أنت الآن على وشك الدخول إلى جهنم، ولن نراك قبل مرور عشرة آلاف كالبا[1].

(1) لفظة كورية تعني العصر البوذي (المؤلف).

«ثم جاء اثنان أو ثلاثة من الموظفين يحملون رماحاً وأخذوني معهم. صرخت «أنتم مخطئون، أنا بريء». وفي تلك اللحظة، ظهر بوذا أمامي، كان وجهه مشعاً مثل الذهب، تقدم نحوي مبتسماً وهو يقول: «تقريباً هناك خطأ حقيقي، هذا الرجل يجب أن يصل إلى عمر الثالثة والثمانين ويصبح ضابطاً من الدرجة الثانية قبل أن يموت». ثم ناداني وسألني: «كيف أتيت إلى هنا؟ الأمر الذي أصدرناه كان يتعلق بشخص يدعى هونغ من تشون جو، أمرنا بأن يقبض عليه ويتم إحضاره إلى هنا، لم تكن أنت المقصود، ولكن بما أنك أتيت إلى هنا، ألق نظرة على المكان قبل أن تذهب، وفيما بعد اذهب لتخبر العالم بما شاهدته».

«لدى سماع الحراس بذلك، أخذوني من يدي واصطحبوني إلى سجن توجد على جداره لافتة كتب عليها «مثيرو الفتن». رأيت في هذا السجن حفرة كبيرة على شكل الموقد، مبنية من الحجارة وتملؤها النار، وكانت ألسنة اللهب تتصاعد منها. ورأيت مثيري الفتن يساقون ويجلسون أمامها، ثم يأتي واحد من حرس جهنم، يأخذ قضيباً طويلاً من الحديد، ويسخنه في النار حتى يصبح لونه أحمر ملتهباً، ثمّ يغرز في عيون المذنبين. رأيت أيضاً المذنبين معلقين مثل السمك المملح. وهنا، قال الحراس

الذين كانوا يصطحبونني: «عندما كان هؤلاء في الأرض، لم يحبوا إخوتهم، وتعاملوا معهم كما لو كانوا أعداءهم. هزأوا من قوانين الرب وكانوا يسعون فقط إلى تحقيق غاياتهم ورغباتهم، لذلك نالوا عقابهم».

«الجحيم التالية كتب عليها: «الكذّابون». في ذلك الجحيم، رأيت أعمدة من حديد طولها عدة ياردات، وأمامها حجارة كبيرة. كان يُنادى على المذنبين، ويُؤمرون بالركوع أمام الأعمدة. ثمّ رأيتُ جلاداً يحمل مديةً ويحفر بها ثقباً في ألسنة المذنبين، ثمّ يمرر سلسلة من الحديد من خلال هذه الثقوب، ويعلقهم بها على الأعمدة، فكانت أجسادهم تتدلى من ألسنتهم لمسافة عدة أقدام من الأرض. ثمّ يُربط حجر بقدم كل منهم، لكي تشدهم الحجارة الى الأسفل، وللإحكام تعلق السلسلة في الأعمدة، وعندئذ تنسحب ألسنتهم إلى الخارج بطول قدم أو أكثر، وتقلع عيونهم من محاجرها.. كان الألم الذي يشعرون به مروعاً. وهنا قال الحراس مجدداً: «هؤلاء المذنبون عندما كانوا على الأرض استخدموا ألسنتهم بمهارة ليكذبوا ويفرقوا الأصدقاء عن بعضهم بعض، ولذلك نالوا عقابهم».

الجحيم التالية كتب عليها: «المخادعون». رأيت فيها عدداً لا يحصى من الناس. وكان هناك غيلان ينزعون اللحم عن أبدانهم، ويطعمونه للشياطين الضارية. وهؤلاء كانوا لا يتوقفون عن الأكل، والغيلان مستمرون في تقطيع اللحم حتى لا يتبقى من أجسادهم سوى العظام. وعندما تهبّ عليهم رياح جهنم، يعود اللحم إلى أجسادهم، وعندئذ تتجمع حولهم ثعابين معدنية، وكلاب نحاسية لتنهشهم وتمتص دمائهم. كانت صيحات آلامهم تهز الأرض. وهنا قال الحراس: «عندما كان هؤلاء المذنبون يعيشون على الأرض نالوا مناصب كبيرة، وكانوا يتظاهرون بالصدق والطيبة، لكنهم كانوا في الخفاء يتلقون الرشاوى ويرتكبون كافة أنواع المعاصي. لقد استغلوا مناصبهم وأكلوا عرق المزارعين وامتصوا دماء الناس، علاوة على أنهم كانوا يدّعون بأنهم يتبرعون لأعمال الخير، فكان الجميع يصفق لهم ويطري عليهم. كانوا يتظاهرون بالتقوى، كما كونفوشيوس أو منسيوس[1]. لكنهم في الحقيقة كانوا لصوصاً، يخدعون الناس، ويسرقونهم، لذلك نالوا جزاءهم».

---

(1) يلي كونفوشيوس في الشهرة والمكانة، ولد وتوفي على الأرجح في الفترة ما بين 289-372 قبل الميلاد.(م)

وبعدئذ قال الحراس: «ليس من الضروري أن تشاهد جميع أنواع جهنم». وقالوا لبعضهم بعض «دعونا نأخذه إلى هناك ليلقي نظرة». ومن ثمّ ساروا بي مسافة قصيرة باتجاه الجنوب الغربي، حيث يوجد منزل كبير عليه لافتة كتب عليها: «بيت المباركين». وكما رأيته، كان المنزل محاطاً بأشعة نورانية جميلة، وتظلله سحب متألقة. وكان يوجد بداخله مئات الكهنة يرتدون الملابس الكهنوتية البيضاء، بعضهم يحمل زهور لوتس نضرة متفتحة، وبعضهم مقرفص على طريقة بوذا، وآخرون يتلون الصلوات. وهنا قال الحراس: «هؤلاء عندما كانوا على الأرض حافظوا على إيمانهم، وأطاعوا بوذا وأخلصوا له من كل قلوبهم، لذلك نجوا من الأحزان الثمانية وأنواع العقاب العشرة، وهم الآن في بيت السعادة، الذي يُدعى الفردوس». وبعد أن رأينا كل هذه الأشياء عدنا أدراجنا.

فوجدت بوذا صاحب الوجه الذهبي واقفاً بانتظارنا، وعندما رآني قال لي: «الكثيرون ممن يعيشون على الأرض لا يؤمنون ببوذا، والقليل منهم يعرفون قصة الجنة والجحيم. ما رأيك بما شاهدت؟».

انحنيت أمامه وشكرته.

وعندئذ قال الناسخ الذي كان يرتدي معطفاً أسود: «دعوا هذا الرجل يذهب وأمّنوا له الطريق» وعندها أخذني الجنود الأشباح معهم، وفي طريقنا استيقظت من نومي مفزوعاً، لأكتشف أنني كنت ميتاً لأربعة أيام.

شعر هونغ بالفخر لما حدث معه، وكان كثيراً ما يتحدث عنه بفخر شديد. العمر الذي عاشه والدرجة الثانية التي نالها كانا كما تنبأ له بوذا بالضبط.

ولكن واحسرتاه! استخدمت تجربة هونغ كوسيلة لتضليل الناس، لأن الرجل الفاضل[1] لا يتحدث عن هذه الأشياء الغريبة والعجيبة.

يي تان، رجل صيني من مملكة سونغ، اعتاد أن يقول «إذا قيل لنا أنه لا يوجد جنة، فإنه لا توجد جنة بالفعل، ولكن إذا كانت توجد واحدة، فإن الرجل الفاضل هو الوحيد فقط الذي يمكنه الوصول إليها. وإذا قيل لنا إنه لا توجد جحيم، فإنه لا توجد جحيم بالفعل، ولكن إذا كانت هناك جحيم واحدة فينبغي أن تكون من نصيب الرجل العاصي».

(1) حسب المعتقدات الكونفوشيوسية الرجل الفاضل هو الذي يسيطر على انفعالاته ولا يفعل إلا الخير (م).

إذا تأملنا قصة هونغ، قد يبدو لنا أن الغرض منها هو تضليل الناس، لكنها في الحقيقة تستهدف هداية الناس إلى أعمال الخير.

أنا، إيم بانغ، سجلتها في ذاكرتي كما فعل توي تشي، الذي قال عنها «لا تبحث عن أخطاء في القصة، ولكن خذها عبرة وعظة».

المنازل المسكونة

عاش في قديم الزمان رجل في سيول يدعى بي تشانغ، كان كثيراً ما يحدثنا عن تجربته الخاصة في القصة التالية: كان بي تشانغ رجلاً فقيراً، لا يمتلك منزلاً، وأمضى عمره يعيش في منازل يعيرها له الآخرون. وعندما ضاق به الحال، ولم يحالفه الحظ بإيجاد مسكن يناسبه، فكر أن يقطن أحد البيوت المسكونة. وفي أحد الأيام، سمع عن منزل خال من السكان يقع في إنك تاون[1]، على سفح الجبل الجنوبي، معروف بأنه مسكون بالجن منذ أجيال. وبعد أن استقصى عنه، قرر في النهاية أن يمتلكه.

وبغرض التأكد إن كان المنزل مسكوناً أم لا، استدعى أخويه الأكبر منه سناً، هاغ وهاو، وخمسة أو ستة من أقربائه، وطلب منهم مساعدته في تنظيفه ودعاهم إلى النوم هناك. كان المنزل يحتوي على علية[2] موصدة بالقفل. فنظروا ليروا ما فيها من شق الباب، فشاهدوا بالداخل كرسي عليه أعمال حفر وله مسند،

---

(1) أحد أحياء سيول (المؤلف).
(2) غرفة علوية (م).

كما كان هناك أيضاً قيثار قديم ليس له أوتار، وزوج من الأحذية، وبعض العصي وكسرات من الخشب. وعدا ذلك لم يكن بداخل الغرفة شيئاً آخر. كان هناك فقط غبار كثيف، وكأنها لم تُنظف منذ سنوات طويلة.

بعد أن شرب الرفاق الخمر، جلسوا حول الطاولة، وتسلوا بالألعاب، وهم يراقبون الليل يرخي سدوله. وعندما تأخر الوقت، وقارب منتصف الليل، سمعوا فجأة صوت قيثارات وأصوات جماهير غفيرة، كان حديثهم مختلطاً وغير واضح، وكأنه يصدر عن حشد غفير من الناس يجتمعون في وليمة.. فتشاور الرفاق فيما بينهم حول ما ينبغي لهم عمله. استل أحدهم سيفاً وضربه في الحاجز الذي يطل على العلية، فأحدث حفرة، ظهر منها في الحال في الجانب الآخر سيف أزرق اللون، كان مصوباً نحوهم. فأصابهم الخوف والرعب وكفوا عن البحث والتنقيب في المكان. ولكن صوت القيثارة والمرح الصاخب بقي حتى طلوع الصباح. وفي ضوء النهار، انسحب الرفاق من المكان وتفرقوا، ولم يجرؤ أحداً منهم على الدخول إليه مرة ثانية.

كان ثمة منزل آخر مسكون في الشطر الجنوبي من مدينة سيول، رغب تشانغ بامتلاكه، فاستدعى رفاقه وأخويه مجدداً ليختبروه

ويكتشفوا إن كان حقاً مسكوناً أم لا. وعندما دخلوا إلى المنزل، وجدوا في الداخل كلبين، واحد أسود اللون والثاني أسمر مصفر، وقد استلقيا على طرفي الشرفة. كان لون عيونهما أحمر نارياً، زجرهما الإخوة فلم يتحركا من مكانيهما. ولا حتى نبحا أو حاولا عضهم. ولكن عندما انتصف الليل، نهض الكلبان وخرجا إلى الساحة، وبدآ ينبحان نحو السماء المظلمة بطريقة بدت مشؤومة. راحا يقفزان نحو الخلف والأمام. وفي الوقت نفسه، جاء شخص ما من طرف زاوية المنزل يرتدي ثياباً رسمية. قابله الكلبان ببهجة كبيرة، وأخذا يقفزان حوله تعبيراً عن ابتهاجهما بقدومه. صعد الرجل إلى الشرفة وجلس هناك. وعلى الفور ظهر خمسة أو ستة شياطين متعددي الألوان وانحنوا أمامه، في المساحة المفتوحة أمام الشرفة. وبعد ذلك قاد الرجل الشياطين والكلبين في جولة لمرتين أو ثلاث مرات حول المنزل. ثم اندفعوا مسرعين إلى داخل الشرفة وقفزوا منها إلى الساحة، كرروا هذه الحركة عدة مرات، إلى أن اختفوا جميعهم في النهاية بشكل غامض. فنزل الشياطين إلى حفرة أسفل الأرض، بينما عاد الكلبان إلى مكانيهما السابقين في الشرفة داخل المنزل.

رأى الرفاق ما جرى من مكانهم في الغرفة الداخلية، وعندما ظهر ضوء النهار تفحصوا المكان، ونظروا عبر شقوق الأرضية، فلم يشاهدوا سوى منخل قديم مهترىء وبضعة مكانس عديمة

الفائدة. وفي خلف المنزل وجدوا مكنسة أخرى قديمة محشورة بداخل المدخنة. أمروا الخادم بجمعها جميعاً وحرقها. بقي الكلبان طوال النهار في مكانيهما، من دون أن يأكلا شيئاً أو يتحركا من مكانيهما. اقترح بعضهم قتلهما، لكنهم خافوا من منظرهما المرعب.

بقيا لليلة أخرى ليتأكدا من أن ما شاهداه بالأمس من أحداث سيتكرر أم لا. ومجدداً عندما انتصف الليل، نهض الكلبان من مكانيهما وتوجها إلى الساحة وبدآ ينبحان نحو السماء. فظهر الرجل صاحب الثياب الرسمية من جديد، وكذلك الشياطين، وكرروا ما فعلوه في الليلة السابقة.

في خوف واشمئزاز، غادر الرفاق المكان في الصباح، ولم يجربوا العودة إليه مرة أخرى.

سمع صديق لي هذه القصة من تشانغ، فذهب وسأل عنها أخويه، هوغ وهاو، فأكدا له صحتها.

ولا يزال هناك رواية أخرى عن شاب متعلم بلا منزل ومأوى، ذهب إلى منزل في إنلك تاون مع رفاقه، حيث كان يقال إنه توجد فيه علية تُسمع منها أصوات غامضة. فتحوا الباب، كسروا

النافذة، أخرجوا القيثارة القديمة، وكرسي الشبح، الحذاء والعصي، وحرقوها جميعاً. قبل أن تنهي النار عملها، سقط أحد الخدم على الأرض ومات. وعندما رأى الشاب المتعلم ذلك، أخمد النار وهو يرتعد من الخوف والرعب، وأعاد الأشياء إلى مكانها وغادر المنزل.

ومن جديد، كان ثمة رجل متشرد جرب السكن في ذلك المنزل. وفي الليل، هبطت عليه من العلية امرأة ترتدي تنورة زرقاء، وتصرفت بطريقة غريبة وعجيبة. وعندما رآها الرجل تتصرف على هذا النحو، جمع متعلقاته وغادر.

ومجدداً، في جنوب مدينة كيتل[1] الجنوبية، كان يعيش عدد من الحطابين، وبينما هم يمرون ذات صباح باكر من خلف المنزل المسكون السابق ذكره، وجدوا امرأة عجوزاً جالسة تبكي أسفل شجرة. فاعتقدوا أنها غولة شريرة، فالتفّ أحد الرجال من الخلف وطعنها بمنجله. فاندفعت الساحرة نحو المنزل، وذكر الحطابون أن طولها لا يتجاوز ذراع وشبر.

(1) مدينة كورية قديمة (م)

إيم الصياد

في شبابه، عاش الجنرال إيم كيونغ أب[1] في مدينة طاليا[2]. كان يحب الصيد، وركوب الخيل. وذات مرة، ذهب في رحلة ليقتفي أثر غزال في جبال وول لاك. لم يذهب ممتطياً جواده وإنما سيراً على قدميه ولم يأخذ معه سوى سيفه. وفي أثناء سعيه خلف الغزال، ابتعد كثيراً حتى وجد نفسه بالقرب من جبل تاي بيك. وهناك داهمه الليل، وخيم الظلام على المكان فلم يعد قادراً على تمييز الطريق. كانت هناك فجوات واسعة، قمم عالية، وجروف في جميع الجهات. وبينما هو على هذه الحالة من الارتباك، التقى حطاباً، فسأله عن الطريق وكيفية الوصول إليه. فدله حطاباً على جرف مقابل، حيث كما قال: «يوجد منزل».

(1) من أشهر الجنرالات في كوريا، حارب لأجل الصين عام 1628م ضد المنشوريين. وإلى اليوم، لا يزال يحظى بالاحترام والتبجيل في عدة أجزاء من كوريا (المؤلف)

(2) من مدن كوريا القديمة (م).

التزم إيم بنصيحة الحطاب، وعبر إلى الضلع الجبلي البعيد. وعند اقترابه ظهر أمامه قصر مكسو بالقرميد، يقف في تلك البقعة وحيداً. عبر إيم إلى القصر من البوابة الرئيسية، لكنه لم يجد أحداً بالداخل، فقط السكون والظلام، كان المنزل خالياً تماماً، ومن الواضح أنه مهجور منذ زمن.

بعد سفر شاق طوال اليوم بين التلال، وجد إيم نفسه غارقاً في الخوف والرّوع. لذلك تّجول في المكان بارتياب، خشية أن يكون مقراً للعفاريت المخيفة أو ملجأ للشياطين، ولكن بعد لحظات، فتح شخص ما الباب وصاح: «هل تنام هنا؟ هل لديك ما يُؤكل؟».

نظر إليه إيم فوجده الشخص نفسه الذي أرشده إلى الطريق. فأجابه: «لم آكل شيئاً بعد وأشعر بالجوع». وإثر ذلك فتح الرجل صندوقاً جدارياً وأخرج منه شراباً ولحماً. كان جائعاً للغاية، فأكل كل شيء. وبعد أن انتهيا من الطعام جلس الرجلان يتحدثان، وبعد قليل نهض الحطاب وفتح الصندوق مرة أخرى، وأخرج منه سيفاً كبيراً. فسأله إيم «ما هذا الذي تحمله، هل تنوي قتلي؟».

ضحك الحطاب وهو يقول «لا، لا، ولكن الليلة سيحدث شيء جدير بالمشاهدة. هل تأتي معي وتدع عنك الخوف؟» فقال إيم: «بالطبع، أنا لست خائفاً، أريد أن أشاهد هذا الشيء».

كان الوقت آنذاك يقارب منتصف الليل، أخذ الحطاب إيم والسيف في يده وذهبا في طريق عبرا خلاله سلسلة متتالية من البوابات بدت لا نهاية لها. وأخيراً وصلا إلى مكان تنعكس فيه الأنوار على سطح بركة من الماء. وفي وسط البركة مقصورة عالية تتسرّب الأنوار منها. كما تعالت أصوات ضحك وحديث من الطابق العلوي للمقصورة. ومن خلال الأبواب المنزلقة[1] استطاع أن يميز شخصان يجلسان سوياً. كانت هناك مقصورة أخرى على يمين البركة وبالقرب منها شجرة كبيرة، طلب الحطاب من إيم أن يتسلقها ويصعد إلى أعلاها. قال له: «عندما تصعد إلى أعلى الشجرة، انزع حزامك، واربط به نفسك بإحكام في جذع الشجرة، وابق ساكناً تماماً».

(1) هي الأبواب القابلة للطي (م).

تسلق إيم الشجرة كما أرشده الحطاب وأمّن نفسه. ومن المكان الذي اتخذه لنفسه، أمكنه مشاهدة كل ما حوله بوضوح، وكان أول ما شاهده الحطاب وهو يثب متجاوزاً البركة ليحط في المقصورة. وفي الحال صعد إلى الطابق العلوي، وعندئذ أصبح بمقدور إيم أن يميز ثلاثة أشخاص جلسوا يتسامرون ويضحكون. سمع الحطاب، بعد أن أفرط في الشراب، يقول لجاره «لقد اتفقنا على الرهان، الآن فلنرَ من سيكسب». أجابه الرجل «فلنرَ». ومن ثم نهض الاثنان، ونزلا إلى مدخل المقصورة، وقفزا في الهواء، حيث اختفيا عن النظر.

لم يعد الآن بمقدور إيم أن يميز أي شيء، كان فقط يسمع صليل الفولاذ ويشاهد وميض النار المشتعلة منذ وقت طويل.

إذ شاهد ذلك كله من أعلى الشجرة، حيث كان يجلس، تجمدت عظامه من البرد، ووقف شعر رأسه. كان عاجزاً عن التصرف، وبينما هو على هذه الحال، سمع صوت شيء يرتطم بالأرض محدثاً دوياً عظيماً. كما سمع صيحة انتصار، وتعرّف الصوت فقد كان صوت الحطاب.

أخذ إيم يرتعد من البرد، وسرت قشعريرة في بدنه، ولم يتمالك نفسه إلا بعد فترة طويلة. فنزل عن الشجرة والتقى الحطاب الذي أمسكه بشكل مفاجئ أسفل ذراعه وقفز به إلى داخل المقصورة. وهناك التقى امرأة جميلة، ينسدل شعرها على ظهرها كما السحب الناعمة. وكان قد سبق له أن سمع صوتها وهو في أعلى الشجرة، وكان يدلل على أنها سعيدة ومسرورة، لكنه رآها الآن منهكة من شدة الحزن والبكاء.

حدثها الحطاب بقسوة قائلاً: «أنت لا تعلمين بأنك امرأة شريرة، تسببت في موت رجل عظيم؟» ثم قال لإيم: «لقد تحليت بالشجاعة والبسالة في طريقك إلى هنا، ولكن وصولك إلى عالم مثل هذا، لا يكفي لمكافأتك. سوف أعطيك الآن هذه المرأة، وهذا المنزل، لذا بإمكانك أن تودع العالم المُغبر، وتعيش هنا في سلام وهدوء الأيام المتبقية من حياتك».

أجابه إيم: «ما هذا الذي رأيته هذه الليلة، أنا عاجز عن الفهم. أود أن أعرف معناه أولا، أرجوك أخبرني. وبعد أن أسمع منك سوف أفعل ما طلبته».

قال الحطاب: «أنا لست إنساناً عادياً مثل سائر البشر في هذا العالم، ولكنني طريد التلال والغابات. أنا في الواقع لص، وقد

سرقت منازل عديدة مثل هذا المنزل. ليس هنا فقط وإنما في كافة الأقاليم، لدي عدد وافر من البيوت، وفي كل بيت امرأة جميلة، وطعام وافر ولذيذ. ولكن على نحو مفاجئ وغير متوقع، نبذتني هذه المرأة من أجل رجل آخر، وقد حاولا معاً قتلي مرات عدة. فلم يكن أمامي خيار آخر، سوى أن أقتله. لقد قتلت الرجل، ولكن في الحقيقة كان الأحرى بي أن اقتل المرأة. خذ هذا المكان، لا أريد أن أكون مسؤولاً عنه، وخذ المرأة أيضاً هل تفعل؟» لكن إيم سأله مجدداً: «من كان الرجل، وأين يعيش؟».

قال الحطاب: «هذا الرجل عظيم الشأن، على الرغم من أنه يعيش بتواضع في البوابة الجنوبية في سيول ويعمل في بيع التبغ. كان يتردد على هذا البيت كثيراً، وأنا أعلم بذلك، لكنني تغاضيت عن كل شيء إلى أن حاول قتلي، وهذا ما جعل الأمور تسوء إلى هذا الحد. لم أكن أتمنى قتله» وهنا انهار الحطاب وانفجر في البكاء وهو يقول: «واحسرتاه، واحسرتاه! لقد قتلت رجلاً عظيماً وموهوباً». ثم قال لإيم: «فكر في الأمر جيداً، أنت شجاع ولكن الشجاعة وحدها لا تكفي لأن تترك بصمة في العالم. سوف تخفق في منتصف الطريق، المصائر تقررت. توقف عن أي طموحات فارغة، لن تحقق شيئاً يمنحك الشهرة، افعل ما أقوله وتولّ أمر هذه المرأة وهذا البيت».

لكن إيم هز رأسه قائلاً: «لا أستطيع أن أفعل ذلك».

فسأله الحطاب: «لماذا لا تستطيع؟ إذا لم تفعل، لا يوجد أمام هذه المرأة سوى الموت، وهذا ما سأفعله»، قال هذا وضرب عنقها بسيفه ففصل رأسها عن جسدها.

في اليوم التالي قال لإيم: «بما أنك مصر على المضي قدماً ومصر على التصرف بشجاعة، لا أستطيع إيقافك، ولكن إذا تخلى الرجل عن كل هذا، وكان لا يجيد استخدام السيف فهو عديم المنفعة، فسوف يكون دوماً تحت رحمة خصمه. ابقَ معي قليلاً وتعلم كيف تستخدمه، سوف أعلمك بنفسي».

وبالفعل بقي إيم معه لستة أيام أتقن خلالها استخدام السيف.

حين اجتاح السحرة سيول

في يوم من الأيام، كان رجل نبيل من سيول يعبر نهر هان[1] في قارب. وأثناء عبوره النهر، غلبه النعاس فأغفا ورأى مناماً. وفي هذا المنام التقى رجلاً كث الحاجبين مثل حواجب القوطيين[2]، وله عيناه لوزيتان، ووجهه أحمر كما البلح الناضج، ويقارب طوله ثمانية أذرع وشبر. وكان يرتدي ثوباً أخضر اللون وقد أطلق لحيته حتى وصلت، ويطلق لحية طويلة تصل إلى حزامه. كان مظهره مهيباً، يقود فرساً كميتة ويحمل على جانبه سيفاً.

طلب هذا الرجل من صاحبنا أن يفتح يده، ففتحها، فرسم له فيها علامة بقلم الحبر، كانت علامة إله الحرب. ثم قال له: «عندما تعبر النهر، لا تذهب مباشرة إلى سيول، ولكن انتظر عند الرصيف. بعد فترة قصيرة، سوف تظهر سبعة خيول محملة بشبكة من السلال، في طريقها إلى العاصمة. ناد الفرسان،

(1) نهر يجري في وسط العاصمة سيول (م).
(2) من القبائل الجرمانية القديمة، أسست مملكة في إسبانيا أسقطها المسلمون وأقاموا بدلاً منها دولة الإسلام في الأندلس. والقوط عارضوا الكاثوليك، وعُرف عنهم التشاؤم والخوف من الشياطين والموت (م).

وافتح يدك أمامهم، وأرهم العلامة. عندما يشاهدون العلامة سوف ينتحرون جميعها على مرأى منك. بعد ذلك، خذ الحمولة وكومها على بعضها، ولكن لا تفتحها ولا تنظر إلى ما في داخلها. ثم امض في الحال وأخبر القصر بالأمر، وقل لهم أن يحرقوها جميعاً. المسألة في غاية الأهمية، لذلك لا تغفل حتى عن أتفه التفاصيل».

أجفل الرجل النبيل غفوته مذعوراً. نظر إلى يده فشاهد فيها العلامة الغريبة بالفعل. ليس هذا فقط، بل كان الحبر لم يجف عنها بعد. استولت عليه الدهشة، ولكنه فعل كما أشار عليه الرجل في الحلم، وانتظر على ضفة النهر. وبعد قليل، جاءت الحمولات السبع محملة على ظهر سبعة خيول، كانت الخيول قادمة من أقصى الجنوب. يرافقها عدد من العمال، ورجل واحد يرتدي معطفاً رسمياً يسير في الخلف. وعندما عبروا النهر، ناداهم الرجل النبيل قائلاً: «لديّ شيء أقوله لكم، اقتربوا مني». اقترب الرجال من دون أن يرتابوا في شيء، ولو لاح عليهم بعض الخوف. وعندئذ أراهم يده والعلامة التي فيها، وسألهم إن كانوا يعرفون ما هي. وعندما رأوها، التفت الرجل ذو المعطف الرسمي قبل الجميع وقفز

من فوق أعلى الجرف إلى النهر. وبدورهم، فعل الرجال الثمانية أو التسعة الذين كانوا يرافقون الحمولة مثله واندفعوا خلفه إلى الماء.

وعندئذ نادى الرجل النبيل على المراكبية، وأخبرهم بأن الأشياء الموجودة في السلال في غاية الخطورة، وأن عليه إبلاغ القصر بأمرها، وطلب منهم أن يحرسوها إلى أن يعود، وحذرهم من لمسها أو التفتيش فيها.

وبعد أن أمّن الرجل الحمولة، انطلق بأقصى سرعته ليرفع الأمر إلى لجنة الحرب في القصر. فانتدبت اللجنة جندياً أحضر الحمولة إلى سيول. وكما أُشير على الرجل النبيل في الحلم، وضعوا فوقها كومة كبيرة من الحطب وأضرموا فيها النار. وعندما تصاعدت النيران، انفتحت السلال، وخرج منها رجال وجياد صغار الأحجام، لا يتجاوز طول الواحد منهم الإنش، كانت أعدادهم لا تحصى، وأخذوا يؤدون حركات بهلوانية.

وعندما رأى المسؤولون ذلك تجمدوا من الخوف، وتوقف النبض في قلوبهم، وتدلت ألسنتهم من أفواههم. ولكن بعد قليل، انحرقت جميع السلال واختفى أثرها.

كان هذا من صنع السحرة والمشعوذين، وكانت في نيتهم غزو سيول، ولكن لم يتّسن لهم ذلك بفضل التحذير الذي أرسله الكوان، إله الحرب.

ومن ذلك الوقت فصاعداً، بدأ الناس في سيول يجزلون العطاء لإله الحرب، فلولاه لما نجت المدينة من هذه المصيبة؟

العفريت الصغير المرعب

لمناسبة ما، أقيم في منزل أحد النبلاء في سيول احتفال كبير، أُعدت خلاله وليمة كبيرة، دُعي إليها جميع أصدقاء العائلة، وامتلأ البيت بحشد من الرجال والنساء. وفجأة، ظهر أمام قاعة النساء صبي أشعث الشعر، قبيح المظهر، يقارب الخامسة عشرة من عمره. فاعتقدت صاحبة المنزل وضيفاتها أنه عامل جاء ضمن حاشية أحد الزوار، لذلك لم يدققن في أمره، ولكن واحدة من الضيفات رأته في الغرف الداخلية، فأرسلت خادماً ليوبخه ويطرده إلى الخارج. ولكن الولد لم يتحرك، فقال له الخادم: «من أنت، ومع من أتيت، وكيف تدخل مخادع النساء، وحتى عندما طلبنا منك أن تذهب لم تفعل؟».

لكن الولد بقي مزروعاً في مكانه، ولم يرد بكلمة واحدة.

ارتابت النسوة في أمره، فأخذن يحلقن فيه، وكل واحدة تسأل الأخرى من عساه يكون ومع من جاء؟ ومجدداً، طلبن من الخادم أن يعيد عليه السؤال، ولكنه لم يحصل منه على رد.

وعندئذ استشاطت النساء غضباً، وأمرنه بالخروج، وكثيرات منهن أمسكن به وحاولن جره إلى الخارج، إلا أنه كان ثابتاً في مكانه مثل الصخرة، راسخاً في الأرض، لا يتحرك مطلقاً. وبعد أن عجزن عن التصرف، أبلغن الرجال بما يحدث.

ولدى سماع الرجال بالخبر، أرسلوا في الحال عدداً من الخدم الأقوياء، الذين حاولوا جره بقوة، ولكن لم تهتز فيه شعرة. فسألوه: «من أنت؟» فلم يجبهم بشيء. وعندئذ انتاب الرجال الغضب والسخط، وأرسلوا عشرة من الرجال الأقوياء ومعهم حبال ليقيدوه، ولكنه بقي ثابتاً في مكانه كما الجبل العملاق. فأدركوا أنه لن تستطيع قوة بشرية تحريكه.

علّق أحد الضيوف: «لكنه أيضاً إنسان، لماذا لا يتحرك؟».

ثم عاد الرجال وأرسلوا خمسة أو ستة رجال عمالقة بالهروات ليحطموه إلى قطع صغيرة، وبالفعل ضربوه بكل ما أوتوا من قوة. وبدا للجميع أنهم سيسحقونه مثل قشر البيض، حيث كان صوت الضرب يشبه صوت هدير المياه في النهر. ولكن كما حدث في السابق، لم تهتز له شعرة، أو تطرف عيناه. وعندئذ تسلل الخوف إلى قلوب الجميع، فقالوا: «هذا ليس بشراً، وإنما إله»، فدخلوا

جميعاً إلى الساحة التي كان يقف فيها، وأخذوا ينحنون أمامه، وهم يضمون أيديهم ويتضرعون في منتهى الجدية. وظلوا على هذا الحال لوقت طويل.

وأخيراً، ابتسم الصبي ابتسامة تهكم، واستدار، وخرج من البوابة واختفى.

فقد الجميع صوابهم من الخوف، وألغوا الوليمة. ومن ذلك اليوم فصاعداً، أصاب المرض جميع من كانوا في من ضيوف ومضيفين على حد سواء، وأولئك الذين وبخوه، والذين قيدوه بالحبال، والذين ضربوه، ماتوا جميعهم خلال بضعة أيام. وأفراد آخرون التقطوا من الجماعة حمى التيفوس وماتوا هم أيضاً.

وأشيع أن الولد لم يكن سوى روح توو آك، لكننا لا نستطيع أن نؤكد ذلك. أمر غريب، حقاً!

ملاحظة: عندما تختفي جماعة بأكملها عن وجه الأرض، فهذا يعني أن كارثة حلت بهم. كان الأحرى بهؤلاء الناس أن يتصرفوا كما اقترح كونفوشيوس، أن يعاملوا الروح التي قصدت بابهم في يوم يقيمون فيه وليمة بهذا الشكل، باحترام

ولا يؤذوها، أو يفروا من أمامها، بدلاً من إهانتها واستفزازها، مما جعلها أكثر توحشاً من ذي قبل. إذ لا يمكن البتة للشياطين والإنس العيش معاً في مكان واحد.

انتقام الرب

عاش في إحدى المدن رجل عنيف الطباع، صعب المراس، لدرجة أنه في لحظات الغضب اعتاد أن يضرب أمه. وفي أحد الأيام، صاحت أمه بعد أن ضربها «يا رب، لم لا تنزل جام غضبك على هذا الولد الشرير الذي يضرب أمه وتمزقه إرباً».

بعد هذا الدعاء، توقف الابن عن ضرب أمه، وحمل منجله، وانطلق يسير متمهلاً إلى الحقول، حيث أغراه أحد الجيران بالعمل معه في حصاد الحنطة السوداء. كان الطقس في ذلك اليوم رائعاً، والسماء جميلة وصافية. وفجأة ظهرت سحابة داكنة في وسط السماء، وبعد برهة أصبحت السماء كلها سوداء. تلاها رعد مفزع، ومطر غزير. فتوجه سكان القرية صوب الحقل، حيث كانت ومضات البرق هناك متميزة عن غيرها في بقية أنحاء القرية. فاصطدموا برجل رفع منجله في وجوههم محاولاً دحرهم. وعندما هدأت العاصفة، عادوا إلى الحقل مرة أخرى ليلقوا نظرة، ويالهول ما رأوا، لقد وجدوا الرجل الذي كان

يضرب أمه ميتاً وممزقاً إرباً.

الله يراقب الأشرار وما يرتكبونه من أفعال شريرة على الأرض، وينتقم منهم بحسب أعمالهم، ولهذا لابد أن نتقي الله ونخشى غضبه!

الشيخ في الحلم

كان كون جاي رجلاً موغلاً في العمر، رفيع المقام. لكنه رغم ذلك كان مهتماً بممارسة الرياضة والانغماس في شتى الملذات. وفي إحدى الليالي رأى مناماً، جاءه فيه شيخ انحنى أمامه بتذلل، وقال له وهو يبكي: «سيدي، الوزير هونغ يريد قتلي أنا وجميع ذريتي. أرجوك أنقذني، هل تفعل؟».

سأله كون: «كيف أستطيع إنقاذك؟» أجاب الشيخ: «من المؤكد أنه سيطلب مساعدتك. فلا تفعل، أرجوك، لأنك إن لم تساعده، فسوف يضطر إلى الاستسلام، وسوف أعيش أنا وكل ذريتي».

بعد قليل سمع كون طرقاً على الباب، فاستيقظ من نومه وسأل: «من الطارق؟» فكان هونغ، الذي كان يخطط في ذلك اليوم إلى نزهة عند بحيرة لوتس[1]، لصيد السلاحف، وجاء الآن خصيصاً ليدعوه لمرافقته.

(1) بحيرة جميلة ورد اسمها في مدينة كاوشينغ الواقعة في الجنوب الغربي من جزيرة تايوان (م).

عندئذ أدرك كون أن الشيخ الذي شاهده في الحلم ليس سوى سلحفاة، لذلك رفض دعوة هونغ متعللاً بالمرض. وقد علمت لاحقاً أن هونغ أيضاً لم يذهب.

الكاهن المثالي

عاش في قديم الزمان كاهن بوذي ورع يدعى نامنو. كان كلما أصبحت لديه ثياب جديدة، يتبرع بها عن طيب خاطر للفقراء الذين يعانون البرد. كانت شخصيته بسيطة وواضحة لا تساورها الأوهام والشكوك. واعتاد الجميع، من نبلاء ووضعاء وأغنياء وفقراء، على مناداته «صوفتي». وكان نامنو كلما رأى شخصاً محكوم عليه بالضرب في المعبد أو اليامن، يتوسل بإلحاح لكي يسمحوا له بأن يحل محل المجرم.

وذات مرة، كانت هناك مناسبة كبيرة في المعبد، اجتمع فيها عدد من كبار المسؤولين. وشارك فيها صوفتي بدوره. كان يسجد في مكان ما جانباً، عندما لمح الأمير هونغ، أمير يون سان، فرفع رأسه وقال له: «أنت حقاً رجل عظيم للغاية».

فرد عليه هونغ: «ماذا تعني برجل عظيم أيها الوقح؟ خذ هذه» ووجه له لكمة بقبضته على أذنه. فضحك صوفتي وقال «أرجوك، هونغ، لا تفعل ذلك، إنه يؤلم! إنه يؤلم!»

وفي وقت لاحق، عندما كنتُ راكباً مع الأمير بي، أمير يون سونغ، في القطار وكان بصحبته عدد من كبار المسؤولين، توقف بنا القطار لبعض الوقت أمام المعبد. وكان صوفتي موجوداً هناك، فنظر إلى بي وسأله: «أعرف وجهك، لكنني نسيت اسمك» وبعدئذ قال: «آه، تذكرتك الآن، أنت بي سوك هيونغ». صُدم كهنة الدير لقلة لياقة صوفتي في الحديث ورفعه الكلفة بينه وبين الأمير، فسارعوا لتقديم اعتذارات لا نهاية لها للأمير، حيث قالوا له: «صوفتي وُلد هكذا، الله أراده على هذا النحو. أرجوك: سعادتك، اصفح عنه». وبالفعل صفح عنه الأمير، ولم يقل له شيئاً يزعجه.

العقعق فأل الخير

يقول الناس إنه عندما يبني العقعق عشه جنوب المنزل مباشرة، سوف ينال سيد المنزل ترقية في عمله. ويحكى أن الملك تاي جونغ[1] كان له صديق فقير للغاية، جميع مشاريعه يكون مصيرها الفشل. وبعد عدة محاولات عقيمة قرر أن ينتظر ذهاب الملك في موكب ويرسل خادمه ليبني عشاً مزيفاً للعقعق في مكان ملائم حتى يراه الملك. وبالفعل رأى الملك العش وسأل الرجل ماذا يفعل. فأجابه أنه عندما يبني العقعق عشه جنوب المنزل مباشرة ينال سيد المنزل ترقية في الحال. مضيفاً بأن سيده انتظر طويلاً ولكن لم يحدث معه شيء، لذلك هو يبني هذا العش المزيف لعله يجلب له الخير. أشفق الرجل على صديقه وأمر بتعيينه في وظيفة مناسبة في الحال.

أذكر أنني عندما كنت شاباً، بني عقعق عشه أمام منزلنا، ولكنني، مع صبيان آخرين، قطعنا الغصن الذي كان عليه العش

(1) أحد الملوك الذين حكموا مملكة جوسيون (كوريا القديمة) (م).

فوقع على الأرض، وكان فيه صغار العقعق، كان منظر مناقيرها الصفراء يرثى له. شعرت بالأسف والخوف خشية أن تموت، لذلك وضعت العُش في مكان ملائم جنوب المنزل فوق شجرة نيوتاي، وهكذا كُتبت لصغار العقعق الحياة وازدهرت وطارت بعيداً. في أوائل ذلك الشتاء ترقى والدي ثلاث درجات في رتبته والتحق بمكتب رئيس الوزراء.

فيما بعد، بنيت منزلاً صيفياً في تشونغ با، وأمام المنزل مباشرة من جهة الجنوب، بنت مجموعة من طيور العقعق أعشاشاً لها فوق شجرة البلح. كانت لي جارية سحبت الأعشاش واستخدمتها في الوقود، لكنها جاءت مرة أخرى في السنة التالية وبنت المزيد من الأعشاش من جديد. وفي السنة التالية، سنة 1469م، وهي السنة التي ارتقى فيها الملك بي جونغ العرش، نلت ترقية في وظيفتي. وفي ربيع عام 1471م، جاءت طيور العقعق وبنت أعشاشها فوق شجرة جنوب مكتبي. ضحكت وقلت: «المؤكد أن طائر العقعق يمتلك قوة روحانية، كما ذكر الناس في الأزمان القديمة وكما ثبت لي أنا أيضاً بالبرهان والدليل».

بوذا العجوز

يُحكي أنّه في فترة حداد رئيس الوزراء تشوي يون توك على أمه، انطلق على حصان واحد برفقة واحد من خدمه في رحلة إلى الجنوب، فقاده الطريق إلى مقاطعة كاي ريونغ. في ذلك الوقت، كان ما يقرب من اثنين أو ثلاثة من حكام المنطقة يجلسون في خيمة على ضفاف النهر يتناولون الطعام. وعندما مرّ بهم قال الواحد للآخر: «من هذا النادب الذي مرّ بنا من دون أن يترجل عن حصانه؟ لا بد أنه مزارع قروي لم يتعلم الأخلاق الحميدة. ينبغي لنا من دون ريب أن نلقنه درساً على فعلته هذه».

فأرسلوا غلاماً من غلمانهم ليقبض على خادمه، وعندما جاءوا به سألوه: «من هو سيدك؟» أجابهم: «تشوي، بوذا العجوز».

فسألوه مرة أخرى: «لكن ما اسمه الحقيقي؟».

فكان جوابه مجدداً: «بوذا العجوز».

وعندئذ استشاط الحكام غضباً، وقالوا: «تسبب سيدك في إزعاجنا عندما مرّ بنا من دون أن يترجل عن حصانه احتراماً لنا، وأنت تزعجنا الآن بإخفاء اسمه عنا. الخادم والسيد كليهما عديم الأخلاق». ثم أوسعوه ضرباً.

وعندئذ قال الخادم بتمهل: «إنه يدعى تشوي، بوذا، ولكن اسمه الحقيقي هو يون توك وهو الآن في طريقه لمنزله الريفي في تشانغ ون». في الحال عرف الحكام أن الرجل ليس سوى رئيس الوزراء، فأصابهم الخوف الشديد. وعلى الفور هدوا خيمتهم ورفعوا الطعام، وهرعوا ليقدموا التحية وليطلبوا منه العفو على الإثم الذي ارتكبوه.

بوذا العجوز، كان اسماً خاصاً عُرف به هذا الوزير المشهور.

الدواء العجيب

كان الأمير تشيونغ أول مسؤول عن الأراضي منذ ثلاثين عاماً. كان رجلاً عادلاً ومستقيماً. في الوقت الحالي، عمره يقارب التسعين عاماً. له ابن يدعى وال، وهو الثاني في النفوذ بعد أبيه. كلا الاثنان كانا مشهورين للغاية في العصر الذي عاشا فيه، وكان جلالة الملك يعاملهما باحترام خاص.

يُحكى أنه بشكل مفاجئ، هاجم العفاريت والشياطين منزل الأمير تشيونغ، وعندما جاء أحد الموظفين الصغار ليزوره، ظهرت هذه المخلوقات الغامضة في وضح النهار وانتزعت قبعة الموظف عن رأسه وجعدتها. كما رمته بالحجارة وظلّت ترميه بها إلى أن عمت الفوضى القصر بأكمله.

هرب الامير تشيونغ من ذلك القصر، وذهب ليعيش في منزل آخر، وهناك أعد دواء خاصاً يدعى سال كوي وان[1]، وقدمها قرباناً في صلاته. ومنذ ذلك الوقت، رحلت العفاريت، والآن

(1) لفظة كورية بمعنى أقراص لقتل الشيطان (المؤلف).

بعد مضي خمس أو ست سنوات على رحيلها، لم تظهر لها علامة مرة أخرى. الأمير تشيونغ أيضاً رافقته الصحة والعافية ولم يصبه المرض.

مو المخلصة

كان لدى الأمير ها عبد يمتلك أرضاً ويعيش في مقاطعة يانغ جو، ولديه ابنة، يناديها مو[1]، كانت جميلة الجميلات، بل كان حسنها يفوق الوصف. كما كان هناك عالم مشهور يدعى آن يون، يحمل وسام الأدب. رأى مو، ووقع في غرامها فتزوجها. وعندما سمع الأمير ها بذلك ثار غضباً. وقال للعبد: «كيف يجرؤ عبد مثلك على مصاهرة رجل من الطبقة الأرستقراطية؟» وأمر بالقبض على مو وإحضارها إلى قصره، وفي نيته تزويجها من أحد عبيده. علمت مو بذلك فملأها الحزن وانسابت الدموع من عينيها، لكنها كانت عاجزة على التصرف. وأخيراً، تمكنت من الهرب من فوق الحائط وعادت إلى آن. فكانت سعادته لا توصف لرؤيتها من جديد، ولكنه بدوره كان عاجزاً عن التصرف. وتعاهد الاثنان على الموت إن أجبروهما على الافتراق.

(1) لفظة كورية بمعنى «نكرة» (المؤلف).

وفي وقت لاحق، عندما علم الأمير ها بهروبها وبأمر عودتها إلى آن، أرسل عبيده من جديد ليقبضوا عليها ويحضروها إلى القصر. ولكنهم فتشوا عنها في كل مكان ولم يعثروا لها على أثر، إلى أن وجدوها ذات يوم في غرفة مشنوقة من رقبتها وميتة.

مرت شهور من الحزن والأسى على آن، وفي إحدى الليالي تحت جنح الليل، كان عائداً من معبد كونفوشيوس إلى منزله، سائراً بمحاذاة سلسلة جبل الجمل. وكان ذلك في أوائل الخريف، عندما تومض قمم الأشجار تومض تحت ضوء القمر. ويغرق الكون في السكون ويخلو الطريق من المارة. كان آن وحده يفكر بلهفة في مو، وبنبرة رجل قلبه مفطور أخذ يلقي أبياتاً من شعر الحب وفاء لذكراها، وعندئذ سمع فجأة صوت وقع أقدام ناعمة آتية من بين أشجار الصنوبر. أصاخ السمع ونظر باتجاه الصوت فكانت مو. كان يعلم بأنها ميتة منذ وقت طويل، وهذا يعني أن التي ظهرت أمامه هي روحها ليس أكثر، ولكن من شدة انغماسه في التفكير بها، لم يراوده الشك، وركض نحوها وأمسكها من يدها وهو يقول: «كيف جئت إلى هنا؟» لكنها اختفت. فانفجر في البكاء وانهالت من عينيه الدموع. وبسبب ذلك سقط مريضاً، كان يتناول الطعام، ولكن حزنه كان عميقاً لدرجة لم تساعده على بلعه. وبعد فترة قصيرة توفي مكسور الفؤاد.

كيم تشامبان، الذي هو من عمري، وصديقي الحميم، كان أيضاً ابن عم آن، وكان كثيراً ما يحدثنا عن قصته. هناك أيضاً يو هيو جانغ، ابن أخ آن، أخبرنا بدوره القصة مرات عدة. كان يقول: «كانت مو مخلصة حتى الموت. بالنسبة للمرأة المثقفة، التي ولدت ونشأت على الشكليات التقليدية، مسألة في غاية الصعوبة، ولكن بالنسبة للجارية، التي لم يعلمها أحد مبادئ الكياسة، والاستقامة والصدق والإخلاص، فإن الموت يعني لها النهاية، ورغم ذلك تشبثت بطهارتها وضحت في سبيل الحفاظ على عفتها. لقد كانت مو امرأة فريدة، ولم يشبهها أحد في إخلاصها، حتى في العصور القديمة».

مينج المشهور

ذات يوم كان وزير الدولة مينج صا صونغ، مسافراً إلى الجنوب في رحلة طويلة، مرتدياً ثوباً بسيطاً لا يدل على مكانته. وبينما هو في الطريق داهمته الأمطار، فلجأ إلى مقصورة ليستريح وينتظر توقف المطر. في داخل المقصورة كان ثمة تلميذ شاب اسمه وانغ إيو هون، وكان منهمكاً في قراءة الشعر المنقوش على لوحة المقصورة ويداه خلف ظهره. ظلّ يقرأ لوقت طويل وكأنه لا يوجد أحد غيره في المكان. وأخيراً، التفت ناحية الرجل الهرم وقال: «حسناً، جدي، هل قرأت يوماً شعراً مثل هذا؟» تظاهر الوزير المشهور بالجهل، ونهض من مكانه وهو يقول: «هل تتوقع من رجل قروي مثلي أن يفهم الشعر؟ أرجوك أخبرني معناه».

فرد وانغ: «هذه الأشعار كتبها رجال عظماء من الماضي. كتبوا عما شاهدوه واكتشفوه ليكون مصدر إلهام للأجيال القادمة من بعدهم. إنها تشبه صور البحر والأرض، فهناك صور حية في الشعر، كما تعلم».

قال الوزير: «حقاً، هذا رائع، لكن لو لم يكن هناك رجال مثلك كيف لي أن أعرف هذه الأشياء؟».

وبعد فترة قصيرة، وصل موكب طويل من الجياد المحملة بأنواع عديدة من الأشياء، من خدم وعمال وأعمدة خيام، ومجموعة كنفا[1] وغيرها من المعدات.

فوجيء وانغ، وسأل الخدم عن هوية الرجل، ولفرط دهشته علم أن ذلك الشيخ لم يكن سوى مينج صا صونغ. وبصورة تلقائية، خرّ على ركبته منحنياً بإجلال أمامه. ضحك الوزير وقال: «هذا يكفي، لا فرق بين الرجال في القيمة، فوفقاً للأفكار التي يتلقونها يرتقون للأعلى أو ينزلون للأسفل، ولكن لسوء الحظ أن الجميع وُلدوا بقلوب تعشق التفاخر. أنت لست تلميذاً عادياً، لماذا إذن بدأت في قمة التفاخر وانتهيت الآن في قمة التواضع؟» أخذه الوزير من يده، وقاده الى حصيرته، ودعاه للجلوس، وبعد أن استراح تركه يرحل.

(1) لوحات مشغولة بالإبرة على نسيج غليظ متباعد الخيوط (م).

الحواس

العينان مستديرتان مثل الجواهر، لذا بإمكانهما الدوران ورؤية الأشياء. الأذنان لهما فتحتان لذا هما تسمعان. الأنف له فتحتان من خلالهما يمكنه تمييز الرائحة. الفم أفقي وله شق طولي لذا يمكنه أن يستنشق ويزفر النفس. واللسان مثل مزمار الأرغن[1]، لذا يصدر الأصوات ويتحدث. ثلاثة من هذ الأعضاء الأربعة لها وظيفة خاصة تؤديها، أما الفم فله وظيفتان. ولكن العضو الذي يمكنه أن يميز الخير عن الشر هو القلب، لذلك من دون القلب، حتى لو كانت لك عينان لا تستطيع أن ترى، ولا يمكنك أن تسمع حتى ولو كنت تمتلك أذنين، ولن تشم على الرغم من أن لديك أنف، ولن تتنفس على الرغم من وجود فم لك، لذلك يقولون إنه من دون القلب «أراك ولا أراك أسمعك ولا أسمعك».

(1) آلة موسيقية هوائية، تعمل بواسطة سريان الهواء في أنابيبها المصوتة (م).

من صاحب القرار: الله أم الملك؟

بينما يستريح الملك تاي جونغ في قصر هيونغ يانغ، سمع محضيين يتحدثان حول القانون الذي يحكم شؤون الناس، هل هو الإنسان أم الله. قال الأول: «الثروة والجاه كلاهما في يد الملك». فرد عليه الثاني: «قطعاً لا، كل ذرة في الثروة وكل درجة ترقية بأمر الله. حتى الملك نفسه ليس له فيها دور ولا سلطة».

وهكذا ظلا يتجادلان، كل واحد يصر على أنه محق من دون أن يتوصلا إلى اتفاق.

وبعدما سمع الملك ما كانا يقولانه، كتب رسالة سرية قال فيها: «امنحوا حامل هذه الرسالة درجة فوق رتبته» وختم الرسالة وأمر الأول بإيصالها إلى سي جونغ، أمين مكتبه. انحنى الرجل أمام الملك وأخذ الرسالة ورحل، وبينما كان يوشك على مغادرة سور القصر، ألم به وجع شديد في بطنه، لذلك توسل إلى الثاني بأن يحل محله في تأدية المهمة.

وفي اليوم التالي، عندما عُرض سجل الترقيات على الملك، قرأ اسم الثاني وكيف نالَ الترقية، ولم تكن هناك كلمة واحدة تتعلق بالأول. وعندما استفسر عن الأمر، علم بما حدث، ففوجئ واستبد به العجب، وظل مستغرقاً بالتفكير فيما حدث لفترة طويلة.

صاحب الثلاث مهارات

كان للملك صي جونغ قريباً يدعى إم صونغ جونغ، عُرف عنه أنه بارع الفكر قوي العزيمة. فقد كان أول من أجاد العزف على القيثارة في زمانه. وكان الملك يقول عنه: «قيثارة إيم لا تعرف سوى سيد واحد، ولا تطيع سواه».

كان منزله خارج البوابة الجنوبية[1]، وفي كل صباح كان الناس يُشاهدونه راكعاً على عتبة الباب يضرب يديه إلى فوق وإلى أسفل على ركبتيه، وظل يمارس هذا التمرين لمدة ثلاث سنوات. لم يفهم الناس معنى هذا التمرين، واعتقدوا أنه مجنون. ولكن بفضل هذا التمرين تعلم إيم الحركات اللازمة للعزف على القيثارة.

أيضاً كان ينفخ بفمه ويتدرب على حركات العزف بأصابعه في النهار والليل من دون توقف، لذلك عندما كان الناس ينادونه كان يراهم لكنه لا يميزهم. وظل على هذه الحال لمدة ثلاث

(1) البوابة الجنوبية لدينة سيول (م).

سنوات، وهكذا تعلم الحركات اللازمة للعزف على الفلوت[1].

كان رجلاً ضعيف البنية، ولا يجيد ركوب الخيل والرماية. وكثيراً ما كان يتحسر على هذا العيب فيه، ويقول: «على الرغم من أنني ضعيف وغبي ولا أجيد رمي السهام لمسافة طويلة، لا يزال عليّ أن أتعلم كيف أضرب الهدف وأصيب عين الثور. هذه أيضاً ينبغي أن أكتسبها بالممارسة». ولذلك في كل صباح كان يأخذ قوسه وسهامه ويذهب إلى التلال. وهناك يمارس الرماية طوال اليوم، وظل كذلك لمدة ثلاث سنوات، إلى أن أصبح مشهوراً في رمي السهام. بعد كل هذا، ربما تكون قد أدركت أي نوع من الرجال هو.

(1) آلة نفخ موسيقية (م).

موتة بطعنة غريبة

عاش في قديم الزمان رجل يدعى كيم توك صينغ، كان جندياً محظوظاً، يحظى باحترام خاص في قصر الملك تاي جونغ. تولى قيادة الجيش لعدة مرات، وفي حملاته الكثيرة كان يصاحبه صديقه الحميم الذي يحبه كثيراً. ولكن كيم مات ومضى على وفاته أكثر من عشر سنوات، وفي إحدى الليالي استيقظ صديقه من نومه مفزوعاً، وأطلق صيحة عالية. ثم عاد إلى النوم مجدداً. ولكنه عاد وأفاق مجفلاً مرة أخرى بعد قليل فانتابه الخوف، مما جعله يصيح مستنجداً. زوجته لم يعجبها ذلك، فاستفسرت منه عما يحدث. فقال لها: «لقد رأيت منذ لحظات الجنرال كيم يقود حصاناً أبيض، وقد تمنطق بقوسه وسهامه. ناداني وقال، دخل لص منذ لحظات إلى بيتي، وينبغي لي قتله. ثمّ ذهب وعندما عاد مجدداً، كان واضحاً أنه استل سهماً من جعبته، لقد رأيت علامات دم عليه. وقال لي لقد أصبته منذ لحظات، لقد مات. أصيب الزوجان بالعجب والجزع، وظلا يتحدثان في ذلك إلى أن طلع الصباح.

مع طلوع الصباح، ذهب الصديق إلى بيت الجنرال كيم ليتقصى الوضع. وعلم أنه في تلك الليلة التي رآه فيها في المنام، قررت زوجته الشابة أن تتزوج، ولكن بمجرد أن دخل العريس إلى المنزل، أصابه ألم شديد مِن طلقة سهم، وقبل أن يطلع عليه الصباح مات بعد صراع مرير مع الألم.

شجرة الهُويْ الغامضة

كان منزل الأمير با صونغ يقع داخل البوابة الغربية الكبيرة[1]، وأمامه توجد شجرة هُويْ كبيرة. وذات ليلة مرّ ابن زوجة الأمير بالطريق الذي يمر من أمام مقصورة رامي السهام. وهناك شاهد جمع غفير من النبّالين، كان عددهم كبيراً لدرجة أنه لم يستطع إحصاءهم، كما كانوا جميعاً يصوبون سهامهم نحو هدف واحد. وبعد لحظات شاهدهم يمارسون ركوب الخيل، بعضهم يرمي الرماح، وبعضهم يلعب البولينغ، وبعضهم يصوب من فوق صهوة جواده، لذلك كان الطريق أمام المقصورة مغلقاً أمام المارة. صاح بعضهم وهم يمرون بالقرب منه: «انظروا إلى هذا الوغد الوقح! يحاول أن يمضي في طريقه من دون أن يترجل عن جواده!» فأمسكوا به وضربوه، ولم يبالوا لبكائه وتوسله، ولم يشفقوا عليه لما عاناه من ألم، إلى أن خرج رجل طويل القامة من بين صفوفهم المكتظة وخاطب الجمع بغضب: «إنه سيدي، لم تعاملوه على هذا النحو؟» ثم حل قيوده، وأخذه من ذراعه

(1) واحدة من بوابات مدينة سيول الأربعة (م).

وقاده إلى المنزل. وعندما وصل ابن زوجة الأمير إلى بوابة المنزل نظر خلفه فشاهد الرجل الذي أنقذه يسير أسفل شجرة الهُويْ ثمّ اختفى. عندئذ اكتشف أيضاً أن زُمرة النبالين كانوا أرواحاً وليسوا رجالاً حقيقيين، وأن الرجل الطويل الذي ساعده كان روحاً أيضاً، وأنه خرج من شجرة الهُويْ خاصتهم.

تا هونغ

اشتهر الوزير صيم هيو صو[1] في شبابه بالوسامة، كان جماله صافياً كالرخام المصقول، وناصع البياض كالثلج. كما كان موهوباً يجيد الكتابة منذ عمر ثماني سنوات، فنال إعجاب الناس واستحسانهم. وعرف بلقب سودنغ[2]. ومنذ اجتاز امتحانه الأول، أخذ يتقدم في دراسته بشكل تدريجي إلى أن أصبح أخيراً أول وزير مسؤول عن الأراضي. وكرّم في كبره بصفته الوزير الأكثر شهرة من بين جميع الوزراء. وظل يعمل حتى بلوغه سن السبعين، وفي أحد الأيام، وكان وقتها يشغل منصب وزير شؤون الدولة، قال فجأة لمن معه: «اليوم هو آخر يوم لي على الأرض، وقبل أن أودعكم أود أن أعبر عن أمنياتي لكم بالنجاح، وأن تنعموا بالشجاعة والعافية».

(1) كان الذراع الايمن للملك سون جو وواحداً من كبار الوطنيين في كوريا، توفي عام 1622م.

(2) لفظة كورية بمعنى إنسان إلهي (المؤلف).

أجاب رفاقه في دهشة: «لا تزال سعادتك معافى، وقادراً على العمل لسنوات عديدة، لماذا تتحدث هكذا؟»

ضحك صيم قائلاً: «وجودنا في هذه الحياة محدد ومقرر سلفاً. لم لا أقرّ بذلك؟ نحن لا نستطيع أن نتجاوز حدود القدر. أرجوكم لا تبتئسوا. كّرسوا كل جهودكم لخدمة جلالة الملك. واعترفوا بأفضاله العظيمة».

وبعد أن نصحهم بذلك، غادر المكان ورحل. فانتابت الدهشة رفاقه فرداً فرداً بسبب هذا البلاغ الغريب. ومنذ ذلك اليوم لم يعد إلى مكتبه، وقيل إنه مريض.

في ذلك الوقت، كان أمين سرّ شاب يعمل في وزارة الحرب تحت قيادة صيم مباشرة. ولدى سماعه بمرض رئيسه، ذهب يزوره ويستفسر عن حالته. ولدى وصوله إلى منزله، استدعاه صيم إلى غرفته الخاصة، حيث كان يسود الهدوء التام. وقال له: «لقد أوشكت على الموت، الفراق سيكون طويلاً، لذا اعتن بنفسك، وقم بواجبك على نحو مُشّرف».

لمح الشاب الدموع في عيني صيم فقال: «سعادتك لا تزال عفياً، وحتى لو كنت متوعكاً قليلاً، فمن المؤكد أن لا داعي

للقلق. أنا لا أفهم سبب دموعك، وماذا تعني بقولك بأنك أوشكت على الموت. اسمح لي أن أسالك عن السبب».

ابتسم صيم وقال: «لم أخبر أي شخص على الإطلاق، ولكن بما أنك سألت ليس من داع للكتمان لأكثر من ذلك، سوف أخبرك القصة كلها. عندما كنت شاباً صادفت في حياتي أشياء محددة ربما تبتسم عندما تسمعها.

«عندما كنت في السادسة عشرة تقريباً، كان يقال إنني ولد وسيم وبهيّ الطلعة. وذات يوم كنت في سيول وذهبت إلى مأدبة رسمية كبيرة دعي إليها عدد من الراقصات، وغيرهن من مندوبي الهتاف والتشجيع. فذهبت بدوري بصحبة ستة من الرفاق لنتفرج. ومن بين الراقصات، كانت هناك فتاة شابة وجهها غاية في الجمال. كانت مختلفة عن جنس البشر، وكأنها ملاك. وعندما سألت عن اسمها، أخبرني أحد الجالسين قربي أن اسمها تا هونغ[1].

«وعندما انتهى الحفل وتفرق الضيوف، عدت إلى منزلي، لكنني كنت لا أزال مشغول البال في وجه تا هونغ الجميل، ولازمني التفكير بها لفترة طويلة، وشعرت أنني غير قادر على نسيانها. وبعد مضي

(1) اسم كوري بمعني برعم الزهرة (المؤلف).

عشرة أيام على تلك الحفلة، وبينما كنت عائداً من منزل معلمي عبر الشارع الرئيسي، متأبطا كتبي، ظهرت لى فجأة فتاة جميلة، ترتدي ثياباً جميلة وتقود حصاناً وسيماً. ترجلت عن حصانها أمامي، وباغتتني بإمساكها بيدي وهي تقول «ألست أنت صيم هيو؟».

نظرت إليها وأنا في حيرة من أمري واكتشفت أنها تا هونغ. أجبتها: «بلى، ولكن كيف عرفتنى؟ لم أكن آنذاك متزوجاً، ولم أربط شعري بعد، وأثار منظرنا انتباه المارة في الشارع، فأخذوا ينظرون إلينا، فانتابني الخجل الشديد. فقالت برعم الزهرة للصبي الذي كان يجر مهرها، وعلى وجهها ملامح البهجة والسرور: «لدي شيء أفعله الآن، عد وأخبر السيد أنني سأكون حاضرة في مأدبة الغد». ثم انزوينا جانباً في داخل منزل مجاور وجلسنا نتحدث. قالت لي: «ألم تذهب في المناسبة كذا في يوم كذا إلى منزل الوزير كذا، ونظرت إلَيّ من بين الجموع؟» أجبتها: «نعم فعلت» فردت: «لقد رأيتك وبدا وجهك لي مثل الإله. سألت عنك الحاضرين، فقالوا لي إن اسم عائلتك هو صيم واسمك هيو صو، وأن شخصيتك ومواهبك عظيمة للغاية. ومنذ ذلك اليوم وأنا أتوق للقائك، ولكن لم يكن هناك إمكانية لحدوث ذلك، فبقيت أفكر فيك فقط. لقاؤنا هذا من دون ريب من ترتيب الله.

أجبتها ضاحكاً: «أنا أيضا شعرت تجاهك بالمثل».

وعندئذ قالت تا هونغ: «لا نستطيع أن نلتقي هنا، فلنذهب إلى منزل خالتي في الحي المجاور، إنه هادئ وبإمكاننا التحدث هناك على راحتنا. ذهبنا إلى منزل الخالة. وكان نظيفاً ومرتباً ومنعزلاً إلى حد ما، وكان جلياً أن الخالة تحب برعم الزهرة كما لو كانت ابنتها. ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، تعاهدنا أن نكون لبعضنا بعض. برعم الزهرة لم تعرف الحب من قبل، فكنت أول رجل في حياتها والوحيد الذي اختارته ليكون حبيبها. ومع ذلك قالت لي: «مشروعنا لا يمكن أن يكتمل في الوقت الحالي، فلنفترق حالياً ونخطط لارتباطنا في المستقبل. سألتها كيف نستطيع أن نفعل ذلك، فأجابت: «لقد أقسمت بروحي على أن أكون لك، وقررت ذلك إلى الأبد، ولكن أنت لديك أبوان يفكران فيك، كما أنك لم تتزوج بعد، لذلك من غير المحتمل أن يوافقا على أن أصبح زوجة ثانية لك كما تفرض عليّ مكانتي الاجتماعية. لقد فكرت ملياً في إمكانيات وفرص ترقيتك، وأرى أنك يوماً ما ستصبح وزيراً. فلنفترق الآن، وسوف أنتظرك حتى تنال المرتبة الأولى في الامتحان الإمبراطوري وتنهي الثلاثة أيام الأولى من الاحتفالات الشعبية. وعندئذ سنلتقي مجدداً. دعنا

نعقد اتفاقاً لا نخرقه أبداً. إلى أن تنال درجة الشرف، لا تفكر بي أرجوك. ولا تقلق أيضاً، خشية أن يأخذني أحد منك، فأنا أعددت خطة ستساعدني على إخفاء نفسي بعيداً حيث سأكون في أمان. وكُن متأكداً أنه في اليوم الذي ستنال فيه درجة الشرف سنلتقي مجدداً».

وهكذا تصافحنا وودعنا بعضنا وافترقنا بمنتهى البساطة. لم أسألها إلى أين ستذهب، وعدت إلى منزلي بقلب موجوع ومثقل بالهم، شاعراً بأنني فقدت كل شيء. ولدى عودتي وجدت والديّ في حالة من الرعب لفقداني، لكنهما سعدا بعودتي سليماً لدرجة أنهما لم يسألاني عن المكان الذي كنت فيه. وأنا أيضاً لم أخبرهما، وقدمت لهما عذراً آخر.

في البداية، لم أكن قادراً عن الكف في التفكير في تا هونغ. ولم أسترد رباطة جاشي إلا بعد وقت طويل. ومن يومها فصاعداً، انكببت على دراستي بكامل قوتي. كنت أصل النهار بالليل، ليس من أجل الامتحان، وإنما لكي ألتقيها مجدداً.

وبعد مضي سنتين أو نحو ذلك، قرر أبواي تزويجي، ولم أجرؤ على الرفض، فقبلت ولكن من دون أن أشعر بأي بهجة أو حب تجاه من اختاراها لي.

اجتهادي في دراستي كان ملحوظاً جداً، وبفضل كدي واجتهادي تفوقت على جميع منافسيّ. وبعد مرور خمس سنوات على افتراقي عن تا هونغ، نلت درجة الشرف. كنت لا أزال شاباً، ففرح الجميع لنجاحي. ولكن فرحتي كانت لسبب آخر أحتفظ به سراً في داخلي وهو أن الوقت حان للقائي بتا هونغ مجدداً. وتوقعت لقاءها في اليوم الأول لمراسم الاحتفال بتخرجي، ولكن ذلك لم يحدث. ومرّ اليوم الثاني من دون أن أراها، كما مرّ اليوم الثالث من دون أن تصلني كلمة منها. فاستبد بي القلق، ولم أشعر بأي فرحة بنجاحي. كان مساء اليوم الثالث قد حل، عندما قال لي والدي: «لي صديق من أيام الشباب، يعيش في حي تشانغ ايو، عليك أن تذهب وتزوره قبل نهاية الأيام الثلاثة لاحتفالات نجاحك. لم يكن بمقدوري الرفض، فذهبت لزيارة الرجل. وبينما أنا في طريق العودة من هناك، وكانت الشمس قد غربت وحلت العتمة، سمعت وأنا أمر من أمام بوابة عالية، نداء سيلاي[1]، كان مصدر النداء منزل وزير قديم، وهو رجل لا أعرفه، ولكنه أبدى كرماً عالياً ولم يكن أمامي من سبيل سوى أن أترجّل وألبي دعوته. وهناك وجدته ينتظرني بنفسه، رجل نبيل طاعن في السن، وقد

---

(1) صفير حاد يتلقى من خلاله الخريجون الجدد الدعوة إلى التكريم، الحضور ليس إجبارياً، كل حسب رغبته (المؤلف).

أعدّ التجهيزات اللازمة للاحتفال بنجاحي المتواضع، دعاني بلطف إلى الدخول وأجلسني إلى جواره. وراح يتحدث معي بعطف شديد، وقدم لي كافة أنواع المشروبات المنعشة. ثم رفع كأسه وسألني: «هل تود الالتقاء بشخص جميل للغاية؟» لم أفهم ماذا يقصد، لذلك سألته: «عن أي شخص جميل تتحدث»، فقال الشيخ: « بالنسبة لك، هي أجمل إنسان في العالم، أنها بمثابة فرد من عائلتي منذ وقت طويل. ثم أمر الخادم بأن يناديها. وعندما جاءت عرفت أنها تا هونغ التي فقدتها. كنت مذهولاً، مبتهجاً، مندهشاً وتقريباً فقدت النطق. فسألتها وأنا ألهث: «كيف جئت إلى هنا؟».

فضحكت وقالت: «أليس هذا اليوم من ضمن الثلاثة أيام المخصصة للاحتفال الشعبي بنجاحك، ها نحن نلتقي وفقاً للاتفاق الذي أبرمناه لدى افتراقنا؟».

عندئذ قال الشيخ: «إنها امرأة رائعة. أفكارها سامية ونبيلة، وقصتها فريدة تماماً. سوف أقصها عليك. أنا رجل هرم ناهزت الثمانين أعيش هنا مع زوجتي وليس لنا أبناء، ولكن في يوم من الأيام جاءت هذه الفتاة الشابة إلينا وقالت: «هل تسمحون بأن أعيش لديكم في مرتبة الجارية، لأقوم على خدمتكم وأُطيع أوامركم؟».

«سألتها وأنا مندهش عن سبب هذا الطلب الغريب، فقالت: «أنا لست هاربة من أي سيد، لذا لا تسيئا الظن بي»».

«كنت لا أزال غير راغب في قبولها، لكنها توسلت على نحو مقنع فتنازلت في النهاية وسمحت لها بالبقاء، وحددتُ لها أعمالاً لتؤديها، وراقبت سلوكها. لقد أصبحت جارية بإرادتها ولم يجبرها أحد على ذلك، وكّرست حياتها لإسعادنا، كانت تعد لنا الطعام خلال النهار، وتراعينا في الليل، تلبي النداء، ومتأهبة دوماً لتفعل ما نأمرها به، مخلصة إلى حد لا يضاهى. ولما كنت وزوجتي عجوزين ضعيفين ونعاني المرض، وجدناها مصدراً للراحة والبهجة إلى حد لم نسمع عنه من قبل، فقد جعلت حياتنا كلها بهجة وطمأنينة. واكتشفنا أيضاً أنها ماهرة في الحياكة، فأصبحت تحيك لنا ما نحتاج إليه من ملابس بما يتناسب مع فصول السنة. فكان من الطبيعي أن نحبها ونشفق عليها أكثر ما أستطيع قوله. وزوجتي كانت لها أكثر ما تكون الأم لابنتها. في النهار لا تفترق عنها، وفي الليل تنام إلى جوارها. وفي إحدى المرات، سألتها بهدوء عن ماضيها. فقالت إنها في الأصل ابنة رجل حر، لكن أبويها توفيا عندما كانت صغيرة، ولم يكن لديها مكان تعيش فيه، فأخذتها امرأة عجوز من القرية وقامت

بتربيتها. وأضافت: «وأنا صغيرة كنت آمنة من أي أذى. ولكنني التقيت مؤخراً شاباً نبيلاً وتعاهدنا أنا وهو على أن نكون لبعضنا بعض ولو حتى بعد مائة عام، هو شاب جميل، ولا مثيل له. أنا عازمة على لقائه مرة أخرى، ولكن فقط بعد أن ينال درجة الشرف في الامتحان الإمبراطوري. إذا أنا بقيت في منزل الأم العجوز التي ربتني لن أستطيع أن أحافظ على نفسي وأصون شرفي. فأنا عديمة الحيلة، لذلك جئت إلى هنا بحثاً عن الأمان ولأقوم على خدمتكما. إنها خطة سعيت من خلالها إلى إخفاء نفسي عن عيون الطامعين لسنة أو أكثر، إلى أن يتخرج وعندها سوف أطلب منكما الإذن بالرحيل».

«وعندئذ سألتها عن هوية الشخص الذي عقدت معه هذا الاتفاق، فأخبرتني باسمك. أنا شخص هرم ومنذ وقت طويل لم أعد أفكر في اتخاذ الزوجات والخليلات، ولكنها كانت تسمي نفسها خليلتي لتكون في أمان، وهكذا مرّت السنوات وهي تعيش معنا. كنا نراقب ونتابع نتائج الامتحانات، ولكن اسمك لم يظهر إلا هذه المرة. وطوال السنين الماضية، لم أسمع منها كلمة قلق واحدة، لقد كانت متيقنة تماماً من أن اسمك سيظهر ذات يوم. ولم ألاحظ على وجهها يوماً ظلال يأس أو خيبة أمل. وهذه

المرة عندما نظرت إلى القائمة وجدت اسمك، فأخبرتها. فلم تظهر عليها مظاهر البهجة، واكتفت بالقول إنها كانت تعلم بأن هذا سيحدث. كما قالت أيضاً: «عندما افترقنا عاهدته على أن ألتقيه قبل نهاية أيام الاحتفالات الشعبية الثلاثة، والآن ينبغي أن أنفذ وعدي.

«ولذلك تسلقت إلى المقصورة العلوية لتراقب الطريق العام. ولكن الحي الذي نعيش فيه بعيد ومنعزل بعض الشيء فلم تتمكن من رؤيتك وأنت تمر في اليوم الأول، ولا في اليوم الثاني. وهذا الصباح، ذهبت مرة أخرى إلى المكان نفسه، وهي تقول: «سوف يمر اليوم بالتأكيد» وها قد حدث ما قالته. حيث جاءتني تقول: «لقد أتى، ناده ليدخل إلى هنا».

«أنا رجل هرم وقرأت الكثير من القصص وسمعت عن العديد من النساء الشهيرات. وهناك نماذج عديدة من قصص الإخلاص التي تحرك القلوب، لكنني لم أرَ في حياتي قطّ امرأة مخلصة ووفية مثلها. الله يعلم بحالها لذلك حقق لها غايتها. والآن، لا تدع لحظة البهجة هذه تمر، ينبغي أن تبقى معنا هذه الليلة.

«عندما التقيت تا هونغ، كنت في غاية السعادة، خاصة بعد أن سمعت عن حجم إخلاصها لي كل هذه السنوات. ولكنني

رفضت دعوته، وقلت له إنني لا أعتقد، على الرغم من أنه يوجد بيننا اتفاق، بأنه يحق لي أن آخذ فتاة تعمل لدى سعادتكم. لكن الشيخ ضحك وقال: «هي ليست ملكي. لقد وافقت ببساطة على أن أُسميها خليلتي بالاسم فقط خشية أن يطمع فيها أحد أبناء إخوتي أو يخطفها بعض شبان جماعتنا. إنها قبل أي شيء امرأة مخلصة، لم أعرف واحدة مثلها من قبل».

«وعندئذ أمر الشيخ بعودة حصاني ومن كانوا برفقتي من الخدم إلى والدي وحملهم رسالة تفيد بأنني سأبقى لديه تلك الليلة. وأمر خدمه بأن يعدوا لي حجرة، وأن يضعوا فيها ستائر جميلة وحصيرة مطرزة، ويعلقوا الأنوار ويزينوها كما لو كانت حجرة عريس. وهكذا احتفل الرجل بلقائنا.

«وفي صباح اليوم التالي، ودعتهم، وذهبت وأخبرت والديّ بكل شيء عن لقائي بتا هونغ وكل ما حدث. فوافقا على أن تكون لي، وتم إحضارها وأصبحت فرداً من عائلتنا، كانت حقاً زوجتي الوحيدة.

«كان أسلوب حياتها وسلوكها يختلف عن البشر العاديين، فكانت لا تتواني عن خدمة من هم أعلى منها، ومساعدة من هم دونها، كانت تفي بكافة مواصفات الأعراف القديمة. وتؤدي

عملها بإخلاص، ومواهبها في عزف الموسيقى ولعب الشطرنج استثنائية. لقد أحببتها لدرجة تفوق الوصف.

«وبعد وقت قصير من زواجنا، أصبحت حاكماً لمقاطعة كيومسان في إقليم تشولا، فذهبت إلى هناك برفقة تا هانغ. وبقينا هناك لمدة عامين. قللت خلالهما من الأوقات السعيدة التي نمضيها سوياً، لأن ذلك على حد ما قالته يتعارض مع واجبي ومتطلبات وظيفتي. وفي أحد الأيام، وعلى نحو غير متوقع، جاءت إليّ وطلبت مني أن نتحدث قليلاً في هدوء وعلى انفراد، لأن لديها شيئاً هاماً تود قوله لي. فسألتها ما هو، فقالت: «سوف أموت، أجلي في الحياة انتهى، لذا تعال ولنعش سوياً بعض اللحظات الممتعة التي ننسى خلالها أحزان العالم. تعجبت لما سمعته. ولم أستوعب بأنه حقيقي، وسألتها كيف يمكنها أن تعلم مسبقاً بأنها ستموت. فقالت: «أنا أعلم، لكنني واثقة من كلامي».

«وخلال أربعة أو خمسة أيام سقطت مريضة، ولم يكن مرضها خطيراً، إلا أنها بعد يوم أو يومين ماتت. قالت لي وهي تنازع «حياتنا مقدرة، الله يقررها. عندما كنت حية كرّستُ نفسي لأجلك، وأنت في المقابل كنت في غاية العطف. لا يوجد

ما أندم عليه. وأنا أموت أطلب فقط أن يدفن جثماني في المكان الذي سيدفن فيه جثمان سيدي عندما يحين أجله، لكي ألتقيك وأكون معك مرة أخرى من جديد»، وبعد أن فرغت من قولها هذا توفيت.

«كان وجهها جميلاً، لا يشبه وجه الميت، وإنما مثل وجه من لا يزالون على قيد الحياة. غمرني الحزن عليها، وحضرت جثمانها بنفسي للدفن. ووفقاً لعاداتنا عندما تموت الزوجة الثانية فإنها لا تدفن مع العائلة، ولكنني استأذنتهم ودفنتها في مدافن العائلة في مقاطعة كو يانغ، وذلك نزولاً عند رغبتها. وفي رحلة العودة الحزينة إلى كيوم تشانغ كتبت قصيدة قلت فيها:

أوه يا برعم الزهرة الجميل

حملناك في تابوت من خشب الصفصاف

إلى أين ذهبت روحك الحلوة العطرة

المطر ينهمر علينا

ليخبرنا عن دموعك ووفائك

«كتبت هذه الأبيات تعبيراً عن حبي لحبيبتي تا هونغ

الوفية. وبعد موتها، كان لا يحدث شيء جديّ في منزلنا دون أن تأتي وتخبرني به مسبقاً، ولم يحدث قطّ أن أخطأت في أي بلاغ. استمرت حياتي على هذا النحو لعدة سنوات، حتى بضعة أيام قليلة سابقة ظهرت في منامي وقالت: «سيدي لقد حان موعد رحيلك، وسوف نلتقي مجدداً. أنا الآن أستعد لاستقبالك بكل سرور».

«ولهذا السبب ودّعتُ جميع رفاقي. وفي الليلة الماضية جاءتني مرة أخرى وقالت لي: «غداً هو يومك» بكينا معاً في الحلم لأننا التقينا وتحدثنا. وفي الصباح، عندما استيقظت كانت علامات الدموع لا تزال على وجنتي. هذا ليس لأنني أخشى الموت، ولكن لأنني رأيت حبيبتي تا هونغ. الآن أنت سألتني وأنا أخبرتك بكل شيء. لا تخبر أحداً به». وهكذا توفي صيم، في اليوم التالي، كما كان يعلم مسبقاً. أمر غريب حقاً.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-361-7
9 789948 013617